أبو الحسن الندوي

روائع من أدب الدعوة

في القرآن والسيرة

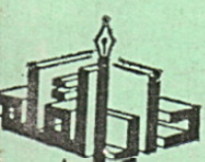

www.abulhasanalinadwi.org

أبو الحسن علي الحسني الندوي

روائع من أدب الدعوة

في القرآن والسيرة

محاضرات في مناهج الدعوة و آدابها
ألقيت في المعهد العالي للدعوة و الفكر الاسلامي
التابع لجامعة دار العلوم ندوة العلماء ، لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين » . (النحل - ١٢٥)

www.abulhasanalinadwi.org

هٰذَا الكِتَابُ

بقلم الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى

الحمد لله رب العالمين ، المنزل للصحف و المفجر لنابع الحكم ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الذى أوتى جوامع الكلم ، وعلى آله وأصحابه القادة إلى السبيل الأقوم ، ومن تبعهم باحسان و دعا بدعوتهم من الشعوب و الأمم .

أما بعد ! فقد كان عام ١٤٠٠ الهجرى سنة افتتاح الدراسة فى المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى لدار العلوم ندوة العلماء ، و كان من نجاح هـــذه السنة أنها ازدانت بسلسلتين قيمتين من المحاضرات ، إحداهما لسماحة أستاذنا أبى الحسن على الحسنى الندوى ، وقد تركزت على موضوعات أسلوب الدعوة فى القرآن . وأخراهما لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى ، و قد أحاطت بموضوعات

www.abulhasanalinadwi.org

مهمة للفكر الاسلامى .

أما موضوعات أسلوب الدعوة فى القرآن فلم تكن من أهم المواد الدراسية فى منهج المعهـــد العالى للدعوة والفكر الاسلامى وحده ، بل إنما هى من أهم المواد الدراسية التربوية لدار العلوم ندوة العلماء كلها ، ولقد كان من أهم أهداف دار العلوم ندوة العلماء منذ تأسيسها ، هى خدمة الدعوة الاسلامية و تربية أبنائها لها ، و قد جعلت الاعتماد فى ذلك بصورة خاصة على كتاب الله وسنة رسوله ، فعندما نستعرض المواد الدراسيـة فى منهج دار العلوم ندوة العلماء نجد أنها تدور حول هذه النقطة مباشرة أو بوجه غير مباشر .

و اعتنت دار العلوم ندوة العلماء بتعليم اللغة العربية أيضاً كلغـــة حية عمليـــة كتـابة و خطابة و حواراً ، و كان ذلك مما سبقت به ندوة العلماء شقيقاتها فى شبه القارة الهندية ، و هى أداة مهمة لخدمة الدعوة الاسلامية ، و لاستقاء الروح و الهداية من المنابع الأصيلة ، تؤيد هذه الفكرة آية : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم (١) » ، و من أهم ما اعتنت به ندوة العلماء قبل كل مؤسسة تعليمية أخرى هو تدريس القرآن الكريم

(١) سورة إبراهيم : ١٤

www.abulhasanalinadwi.org

بصورة مباشرة ، كان ذلك بالاستناد إلى كتب التفسير المعتبرة و لكنه لم يكن من خلالها . و هاتان مادتان مهمتان جداً يجب المهارة فيهما لكل مشتغل بالدعوة والتربية ، ولايمكن استقاء الهداية و الارشاد الصحيح إلا بالاعتماد على هذين العنصرين الهامين من العناصر الأدبية والفكرية للدعوة ، و هما معرفة اللغة معرفة عملية بليغة و الاتصال المباشر بنصوص القرآن الكريم .

و خير النماذج للداعية الاسلامى هى ما قصه علينا القرآن الكريم من قصص الدعوة و التبشير والانذار ، و ما صوره من نماذج نفسية و اجتماعية و أدبية مختلفة ، و ما ذكره من حوار الأنبياء السابقين مع أممهم و مواجهتهم لردها عليهم ، و كيف عرضوا عليها الدعوة الفاضلة ، وما هوالأسلوب البليغ الذى اتبعوه فى ذلك .

إن كل ذلك من أهم الدعائم التى تقوم الدعوة الاسلامية عليها ، و لا يمكن الاستغناء عنه للداعية الاسلامى فى أى عصر و مصر .

و كان من سعادة المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى أن تدريس هذه المادة المهمة للدعوة الاسلامية قد حظى باعتناء

www.abulhasanalinadwi.org

الداعية الاسلامى والمفكر الاسلامى سماحة أستاذنا السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى بصورة خاصة ، وهو الذى حاز السبق بفتح المعهد العالى للدعوة والفكر الاسلامى فى دار العلوم ندوة العلماء ، وذلك تحقيقاً للحلم العظيم الذى ساور نفوس بناة ندوة العلماء منذ تأسيسها .

وكان سماحة أستاذنا من أليق الناس بتدريس هذا الموضوع ، ذلك أولا لأنه درس اللغة العربية دراسة عملية دقيقة و تفهم روحها البلاغية . و مارس الكتابة و الكلام فيها بأسلوب بليغ حاز من أهل هذه اللغة التقدير و الاعجاب ، و ثانياً أنه تخصص فى علوم القرآن و تفسيره و درسهما بصورة عميقة أيضاً ، ثم اشتغل بتدريسه مدة من الزمن ، ومن اطلع على كتاباته ومؤلفاته عرف أنها تعتمد على القرآن الكريم قبل أن تعتمد على غيره ، وتستمد منه الروح والقوة والايمان ، وذلك سر قوتها وتأثيرها ، فكان خير من يدخل فى موضوع قرآنى مهم و يبحث فيه عن جدارة و كفاءة .

و لقد كان أول ما بدأ به الأستاذ الجليل فى مجال خدمة الدعوة الاسلامية ، هو إلقاء الخطب العامة والمحاضرات التوجيهية

www.abulhasanalinadwi.org

فى عامة المسلمين ، و إلقاء دروس مستقاة من نصوص القرآن الكريم أمام الطبقة المثقفة من المسلمين ، وقد حاز العملان التقدير و الاعجاب من السامعين ، و عرف سماحته بمهارة العرض والشرح و بلاغة القول فى ذلك ، كما خدم القرآن الكريم بمقالات علمية و أدبية أيضاً ، و كانت تنير جوانب البلاغة و الحكمة من كتاب الله تعالى ، فقد ألف فى هذا المجال كتاب « مبادى دراسة القرآن و أصولها » باللغة الأردية ، و« الأدعية النبوية وبلاغتها » باللغة الأردية أيضاً ، و « تأملات فى التنزيل » باللغة العربية ، و« بين الايمان والمادية » تفسير سورة الكهف باللغة العربيـــة أيضاً ، و له مقالات وبحوث أخرى فى هذا المجال .

و هذا كتاب جديد من سلسلته القرآنية ، يجمع محاضراته التى ألقاها أمام طلبة المعهد العالى فى مادة أسلوب الدعوة فى القرآن الكريم فى قاعة المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى ابتداءاً من من ذى القعدة الحرام ١٣٩٩هـ (الموافق ١٦ أكتوبر ١٩٧٩م) قيدها كتابياً السيد ظريف أحمد الطالب بالمعهد العالى من أشرطة التسجيل ، ثم راجعها سماحة الأستاذ و هذبها لإعـدادها للطبع والنشر فى صورة كتاب ، فله الشكر على إلقاء المحاضرات ومراجعتها

www.abulhasanalinadwi.org

كما نشكر الطالب محمد صدر الحسن ، على ما بذل من جهد فى إعداد هذه المحاضرات تقييداً و انتساخاً .

و ها نحن الآن نسعد بتقديم هـــذا الكتاب للراغبين فى الدراسات القرآنية رجاء أن يعم النفع و يمكن الاعتماد عليه عند تدريس هذه المادة . و الله ولى التوفيق و به الثقة .

محمد الرابع الحسنى الندوى

المدير بالوكالة

٢٣ /٩/ ١٤٠٠هـ

للمعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى

٤/ ٩ ٨٠ م

www.abulhasanalinadwi.org

المحاضرة الأولى

حكمة الدعوة ومرونتها ومجاراتها لكل بيئة وعصر

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، و صلى على نبيه ﷺ ، ثم قال :

تحقيق أمنية قديمة :

و بعد فانى أحمد الله تبارك و تعالى على هذا اللقاء الكريم السعيد ، فانى أرى فى ذلك تحقيقاً لأمنية قديمة ، بل « هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً » و إننا نلتقى اليوم على صعيد التفكير و التأمل فى مناهج الدعوة و فى أساليبها و فى طرقها و فى آدابها ، وإن هذا الموضوع فى الحقيقة قيمة هذه المؤسسة العظيمة التى قامت قبل تسعين سنة تقريباً .

ما هو أسلوب الدعوة فى القرآن ؟ أو بما يوصى القرآن الداعى إلى الله و ما هى مناهج الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فى

www.abulhasanalinadwi.org

الدعوة ؟ و ما هى الآداب التى يحب القرآن أن يتحلى بها الداعى إلى الله ؟ ، هل هناك أحكام وتوجيهات معينة محدودة فى القرآن يأخذ بها الداعى و يدرسها الطالب فى مدرسة الدعوة ؟ هـذا موضوع له أهمية كبيرة لأنه يتصل بالقرآن ، و يتصل بالدعوة ، فكيف إذا التقى هـذان الجانبـان المشرقان المنيران المثيران فى موضوع واحد .

القرآن كتـاب هـداية و دعوة

قبل أن يكون كتاب أحكام وشريعة :

إن القرآن هو كتاب هـداية و دعوة قبل أن يكون كتاب أحكام و شريعة ـ مع كل إجلالنا وتقديرنا للأحكام والشريعة ـ إن الأحكام و الشريعه لا غنى عنها ، و لكن القضية ، قضيـة الأولية ، قضية الطابع الغالب ، وقضيـة الغاية التى يدور حولها القرآن ، فانا أعتقد ـ فى ضوء دراستى القاصرة المحدودة ـ أن القرآن هو كتاب هـداية ودعوة ، قبل أن يكون كتـاب أحكام وشريعة ، لأن الهداية هى الأساس للايمان ، والدعوة هى الأساس لنقل هذا الايمان ، فاذا كان هذا هو الشأن ، فلاشك فى أن القرآن هو كتاب هداية و دعوة قبل أن يكون كتاب شئ آخر .

www.abulhasanalinadwi.org

الدعوة لا يمكن أن تخضع لقوانين مرسومة ، و تقيـــــد بهـا :

فما هى الأحكام التى يشرحها القرآن الكريم فى موضوع الدعوة ، وما هى الآداب التى يؤكد عليها القرآن و يدعو إليها ؟ هل هناك قوانين مرسومة وأحكام مضبوطة للدعوة ؟ إننى أعتقد أن الدعوة لا يمكن أن تخضع لقوانين مرسومة وأحكام مضبوطة ، لأن الدعوة تعتمد على المحيط و على الظروف و البيئة ، و على الجو و الملابسات ، فاذا كانت الدعوة تعتمد على الواقع و هو يختلف ، و إذا كانت الدعوة تعتمد على الارتجال . و لا أريد الارتجـال الكلامى اللسانى إنما أريد الارتجال العقلى ، و الذى يسميه أهل البلاغة بحضور البديهة ، و إذا كانت الدعوة تعتمـد كذلك على مكامن المرض ومكامن الضعف فى النفس الانسانية ، و فى المجتمع الانسانى ، فانه ما يمكن أن يقال : يجب على الداعى أن يفعل كذا و يتكلم بكذا ، و يظهر فى المظهر الفلانى و إن كان المظهر البلاغى ، و بدأنا نشرع هذه الأحكام و نرسم هـذه الخطوط و إن كانت خطوطاً عريضة ، و نقول : تنطلق الدعوة من الخط الفلانى إلى الخط الفلانى ، و لا تتخطى هـذه الحدود

www.abulhasanalinadwi.org

و الخطوط ، فقد يتورط الداعى فيما تورط فيه سيد مع خادمه ، كما تحكى حكاية لطيفة ، تقول القصة : إن رجلا استخدم خادماً ، وكان هذا الخادم ذكياً قانونياً ، طلب من السيد أن يضع له قائمة الواجبات ، ما هى الواجبات التى أكلف بها ، فوضع له قائمة ، تعمل كذا فى الوقت الفلانى ، و تعمل كذا ، و تذهب إلى السوق و تحضر لنا الحاجيات اليومية من لحوم و خضر و غير ذلك ، و تقوم بخدمة فلانية ، فأخذ هذه القائمة و احتفظ بها ، و مرة ركب هذا السيد جواداً ، و لكنه لسوء الحظ ارتبكت رجله فى الركاب ، و أراد أن يتغلب على هذه المشكلة فما نجح ، و كان الخادم واقفاً ، فاستعان به وقال : أغثنى يا فلان ، فأخرج الورقة من جيبه و فتحها و مدها إليه وقال : أين فى هذه القائمة أن السيد إذا ارتبكت رجله بالركاب فانى أعينه ، و السعيد يعانى مرحلة فاصلة بين الموت و الحياة ، يخشى عليه أن يسقط أو أن يتورط فى مشكلة أخرى ، و لكن هذا الخادم اعتمد على هذه القائمة وكان أميناً عليها ، مرتبطاً بها ، ورفض أن يعينه لأنه غير مكلف بهذه الخدمة ، لذلك يقول الشاعر العربى ،

www.abulhasanalinadwi.org

وقد كان العرب على جانب عظيم من سلامة الفطرة ومن الانتفاع بتجارب الحياة :

إذا كنت فى حاجة مرسلا   فأرسل حكيماً و لا توصه

الدعوة لها مساحة زمانية

و مساحة مكانيـــة :

أما الدعوة فأمرها بعيـد و ساحتها واسعة جـداً ، و لها مساحة زمانيـة و مساحة مكانية ، و كلتاهما واسعتان ، أما المساحة الزمانية فهى تمتد من مصدرالدعوة - إذا كان نبياً ، وإذا كان مؤسس دعوة كبيرة - إلى ما لا نهاية له ، كذلك لها مساحة مكانية واسعة ، فقد يكون الداعى فى الشرق وقد يكون فى الغرب ، و قـد ينتقل الداعى من الشرق إلى الغرب ، فاذا كان قد تمرن على طبيعة الشرق فانه لا يستطيع أن يقوم بمهمته فى الغرب .

الايجاز والاعجاب فى آية الدعوة ،

سعتها و عمقهـــــــــــــا :

فكان من إعجاز القرآن أنه لم يتعرض لأحكام تفصيلية فى موضوع الدعوة ، وإنما وكلها إلى العقل السليم ، وإلى الذوق المستقيم و إلى العقيدة الراسخة و الفكرة المتغلغلة فى الأحشاء ، ثم حاطها

www.abulhasanalinadwi.org

بسياج واسع ، هو السياج الوحيد الذى يستطيع أن يحيط بالدعوة وهو قوله تعالى: « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين (١) » ، تشعرون بمدى أبعاد الاطلاق الذى جاء فى هذه الآية و أبعاد التقيد الذى جاء فيها ، فأطلق و قال : « أدع إلى سبيل ربك » ، ما حدد و ما عين شيئاً معيناً خاصاً ، فمثلا تدعون الناس إلى الايمان بالله وحده و إلى العقيدة الصحيحة و تحثون على الصلاة ، تدعون إلى مكارم الأخلاق وإلى الفضيلة أوتدعون الناس إلى الشعور بكرامة الانسانية ، و« سبيل ربك » يحوى كل شئ ، إنه يمتد ويسع الآفاق ، ليست هذه الآفاق فقط ، إنها آفاق الأديان السماوية و آفاق الحاجات البشرية و الحياة الانسانية ، فاستحضروا الاعجاز الكامل فى قوله تعالى : « أدع » و هو لا يختص بالخطابة ولا يختص بالكتابة و لا يختص بالوعظ و النصيحة ، إنما قال : « أدع » ، و الدعوة عامة تشمل هذه المعانى كلها ، و هذه الأساليب كلها ، ثم قال « إلى سبيل ربك »

---

(١) النحل ــ ١٢٥

www.abulhasanalinadwi.org

و أى كلمـة أوسع أفقاً ، و أعظم إطلاقاً من قوله ـ تعالى ـ « سبيل ربك » .

إن الحكمة ـ الكلمة البليغة العربية التى جاءت فى الآية ـ لا أعتقد أنها من الممكن ترجمتها أو نقلها إلى لغة أخرى ، وكذلك « الموعظة » كلمة مطلقة ، و « الحسنة » أيضاً كلمة مطلقة ، و هنا جاء القرآن يحل هذه المشكلة فأطلق و قيد ، و أوجز و أعجز ، فقال : أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة » الآية .

و قد جاءت هذه الآية فى سياق الآيات التى تتحدث عن أكبر داع من الأنبياء قبل الرسول ﷺ ، و هو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، و قال :

« إن إبراهيم كان أمـة قانتا لله حنيفاً ، و لم يك من المشركين ، شاكراً لأنعمه اجتباه و هداه إلى صراط مستقيم ، و آتيناه فى الدنيا حسنـة ، و إنه فى الآخرة لمن الصالحين ، ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم ، وما كان من المشركين (١) » ثم بعد ذلك يقوله : « أدع إلى سبيل ربك » فلهذه الآية صلة خاصة بدعوة سيدنا إبراهيم ، هنالك خيط يربط بين سيدنا إبراهيم وبين

(١) المؤمن ـــ ٢٨

www.abulhasanalinadwi.org

أمر الدعوة ، إن ورود هذه الآية فى سياق الحديث عن سيدنا إبراهيم يدل على أن سيدنا إبراهيم كان آخذاً بهذا الطريق ، ملتزماً لهذا الأدب ، وكانت دعوته مؤسسة على الحكمة والموعظة الحسنة و الجدال بالتى هى أحسن .

الأمثـــــــلة و النماذج عنصر هام
استخدمه القرآن فيما يتعلق بالدعوة :

ولكن هنا عنصر آخر ، استخدمه القرآن و اعتمد عليه و هو من أهم العناصر و من أكبرها تأثيراً و وقعاً فى النفس و إعانة على أداء هذه المهمة ، و ذلك العنصر هو الأمثلة العملية والنماذج الشخصية ، فالقرآن إذا كان قد ترك الأحكام التفصيلية الدقيقـــة و القواعد المضبوطة المعينة للدعوة ، فانه قـــد ملأ هـذا الفراغ ـ إذا كان فراغاً ـ بنماذج من سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، و من دعوتهم ، و هى نماذجُ مؤثرة فى القلوب ساحرة للنفوس ، فان النماذج لها من التأثير ما لايكون لأى عنصر آخر ، لا للعناصر المنطقية ، ولا للعناصر الكلامية الجدلية ، و لا للعناصر النفسية ، فكل الصحف السماوية من أولها إلى آخرها اعتمدت على النماذج العملية ، و هى قطع بديعـــة تستهوى النفوس ، من سير الأنبياء

www.abulhasanalinadwi.org

عليهم الصلاة و السلام ، و أكثرها مقتبسة من سير أربعـــة من كبار الرسل ، أولهم سيدنا ابراهيم عليه السلام وثانيهم سيدنا يوسف وثالثهم سيدنا موسى ، و مسك الختام هو خاتم الأنبياء والرسل محمد رسول الله صلى الله عليه و على آله وسلم .

نمـــوذ ج من دعـــوة مـؤمن

مـا زال يكـــــتم إيمـــانه :

و القرآن لم يغفل نكتة مهمة جداً ، وهي أنه إذا كان قد اقتصر على نماذجَ نبوية فقط ، فكان للانسان أن يقول ـ في أي زمن من الأزمان ـ أين نحن من هؤلاء الأنبياء عليهـــم الصلاة والسلام ؟ هؤلاء هم الذين أكرمهم الله بالرسالة وبالوحي والنبوة ، و أيدهم بروح منه ، فكيف نقـــلدهم و كيف نستطيع أن نترسم خطاهم ، فعرض القرآن نموذجاً لانسان لم يكن نبياً و لم يكن من كبار أصحـــاب الرسل ، هو مؤمن من آل فرعون ، و القرآن اكتفى بقوله : « قال مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » (١) . يعني أن أحواله وظروفه لم تسمح له باظهار دينه ، ولو كان على ذروة عالية من الايمان لأعلن إسلامه كما أعلن سيدنا أبوبكر ، وكما

(١) المؤمن ٢٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

أعلن سيدنا عمر، وكما أعلن سيدنا أبوذر، ولكنه مؤمن كان لا يزال يكتم إيمانه، وقد مكنته هذه الفرصة - و هى عدم ظهور إيمانه و إعلانه الحرب على قومه - من ظهوره فى مظهر صديق ناصح و زميل محب للخير لإخوانه، و هى فرصة يجب أن يستفيد منها الداعية الحكيم الذى يكون فى هذا الوضع، و يستفيد منها الداعية الذى لا يكون فى هذا الوضع، فيتلقى منـــه دروساً فى ترقيق الكلام و تنويعه، و التبصير بالواقع و قصص الماضين و عواقب الأمور، و كلا وعد الله الحسنى.

www.abulhasanalinadwi.org

المحاضرة الثانية

نموذجان من دعوة سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام

نموذجان من دعوة سيدنا
إبراهيم عليـــه السلام :

ليكن موضوع حديثنا اليوم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهنالك نموذجان من دعوته ، إذا قارن الانسان بين هذين النموذجين ملكته روعة الحكمة و روعة الدعوة النبوية ، و نموذج حين دعا والده ، ونموذج حين دعا قومه ، وترون تنوع الأسلوب ، وليس تنوع الأسلوب فقط ، بل تنوع فهم النفسية والدخول إلى أغوار النفس الانسانية ، فاذا تأملتم فى الآيات التى وردت فى دعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لوالده . عرفتم كيف يدعو الولد الوالد ، ثم إذا قارنتموه بالأسلوب الذى دعا فيه قومه ، عرفتم أسلوباً آخر يليق بالمقام ، فأنا أقرأ لكم أولا الآيات التى وردت فى دعوته لوالده .

www.abulhasanalinadwi.org

دعوة الولد للوالد :

« و اذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ، إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر ، و لا يغنى عنك شيئاً ، يا أبت إنى قـــد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً ، يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً » (١) .

إثارة للحنان الأبوى :

أولا تتأملون فى قوله : « يا أبت » لهجة فيها الرقة ، وفيها البر ، و فيها التواضع ، و هذا يرجع إلى الذوق السليم ، كذلك كان الذين قد تذوقوا القرآن و تشربوا روحه ، إذا قرأوا آيات العذاب كان يرتعد صوتهم و يحمر وجههم ، و إذا قرأوا آيات الرحمة ترق قلوبهم و تلين أصواتهم ، فالولد إذا خاطب أباه بقوله « يا أبت » أثار فيه الحنان الأبوى ، و كان يمكن لابراهيم أن يصيح فيقول : يا سيدى ، أو يقول : يا شيخ الكهان ، لأنه كان كاهناً ، و لكنه يقول : « يا أبت » تعمد إبراهيم هذه الكلمة ليصل بها

(١) مريم - ٤١ - ٤٥ .

www.abulhasanalinadwi.org

إلى أعماق قلبه ، و يثير فيه الحنان ، فالولد مهما بلغ الغضب من والده إذ ناداه بقوله : « يا أبت » يا والدى الكريم ، رق و تهيأ لسماع كلامه ، إن إبراهيم آثار فيه الحنان قبل أن يثير فيه الايمان ، و الحنان يسبق الايمان أحياناً ، فقد يكون الوالد حنوناً ولايكون مؤمناً ، فهذا الحنان هو الذى يستطيع الانسان أن يعتمد عليه ، و لا ينبغى للداعى الحكيم أن يغفل هـذا الجانب ، و إذا أغفل هـذا الجانب فانه أساء إلى نفسه ، و أساء إلى دعوته إذا كان غليظاً « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » (١) فالرسول عليه الصلاة والسلام رعى هذا الجانب مع عمه أبى طالب ، فخاطبه فى مواضع دقيقة محرجة بقوله : « يا عم ! » فقال حين رأى حيرته فى أمر الدعوة إلى الاسلام و ارتباكه فيها و تخوفه من معرة قريش ، « يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى ، على أن أترك هـذا الأمر ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

و كانت نتيجة هذه الرقة مع الصرامة ، و إثارة العاطفة الانسانيـة فى أبى طالب ـ مع إيثاره لدين آبائه ـ أن قال له ،

(١) آل عمران ـ ١٥٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

— و قد خاطبه بقوله : يا ابن أخي ، كما خاطبه رسول الله ﷺ بقوله : « يا عم »، — : « اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله ما أسلمك لشئ أبداً » (١) .

حسن اختيار سيدنا إبراهيم للدلائل :

ثم إن سيدنا إبراهيم اختار من الدلائل فى إثبات كون هذه الآلهة لا تستحق العبادة ، الأشياء المحسوسة الملموسة اليومية ، لم يبدأ بالأشياء التى تعتمد على المنطق وتعتمد على الذكاء النادر ، وتعتمد على بحوث علمية أو نظرات فلسفية ، إنما اختار الشئ الذى يفهمه الطفل ، لأن والده ، كان فى الطفولة العقلية ، و إن كان متقدماً فى السن ، فخاطبه كما يخاطب الطفل : « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر و لا يغنى عنك شيئاً » ، ثم قال : « إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك » و هذا من دواعى السرور للوالد العاقل فينبغى أن يفتخر و يستبشر بتفوق ولده فى العلم و المعرفة ، و العقل والوعى ، و ما كان فيه شئ من المبالغة وخرق العادة ، لأن هذا يقع كثيراً ، يتعلم الولد و لا يتعلم الوالد و يكون الولد أعلم من والده « يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى

(١) سيرة ابن هشام ، ق ١ ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

أهدك صراطاً سوياً » ، « يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً » ، إن كل آية من هذه الآيات وراءها معان عميقة و حكم دقيقة ، إنه لم يذكر الشيطان بصفات تدق وبصفات يلتوى فهمها على هذا الرجل الساذج البسيط ، الذى بلغ من غباوته أن كان ينحت الأصنام ثم يعبدها ، إن أكبر جنايات إبليس ، أنه كان للرحمن عصياً ، « يا أبت أنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً » .

الاعتماد على الفطرة و الواقع فى دعوته عليه السلام لقومه :

ونقارن هذا الأسلوب بالأسلوب الذى دعا به سيدنا إبراهيم قومه ، تعرفون الفرق ، فيقول القرآن :

« و اتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه و قومه ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون » (١) .

تتأملون فى هذه الآيات و تعرفونها من أولها إلى آخرها ، فأولا تتفكرون فى حكمة سيدنا إبراهيم فى الدعوة ، لأنه لم يقترح

(١) الشعراء - ٦٩ - ٧٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

من نفسه أسماءاً أو صفات لهذه الآلهة، حتى لايثير هؤلاء فيردون عليه وينكرونها ، بل استنطقهم أولا فقال : « ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون » ، و هنالك يلجأ إلى الدلائل المنطقيـــة ، أو الاشارات الفلسفيـــة و قال : « هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون » فان الحياة الانسانيـــة تدور حول هاتين النقطتين ، يسمع الانسان إذا دعى ، و ينفع و يضر إذا استعين ، هذا الخيط الذى يربط فرداً بفرد ، ووجوداً بوجود ، و مؤسسة بمؤسسة ، اختار هـذين الشيئين و هما القطبان اللذان تدور حولهما رحى الحياة كلها .

« قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » ، هذا الذى كان يريد سيدنا إبراهيم أن يقولوه ، فهذا هو جواب العاجز ، جواب المنقطع ، يعنى ما هو الدليل على هذه الأسماء؟ هل لها مسميات؟ و هـــذه الأصنام المنحوتة و الأوثان المنصوبة و الآلهة الخياليـــة الأسطورية الأخرى ، هل لها فائدة فى الحياة ؟ وقدرة على العمل و مكنة من النفع و الضرر ، و سند من العلم ؟ .

www.abulhasanalinadwi.org

استنفـــاد ثروة الذكاء و البيـــان
و طاقة الدفاع عن النفس من المخاطب :

و تستمرون فى دراسة هذه الآيات تنتقلون من معنى إلى معنى فتفهمون الفرق بين الأسلوبين ، و فهم سيدنا إبراهيم العميق الدقيق ، للنفسية الانسانية ، وقدرته وبراعته فى الدخول إلى مداخل النفس الدقيقـــة ، و إلى أغوارها العميقـــة ، كيف استخرج كل ما عندهم من ثروة ذكاء ، و ثروة بيان ، و ثروة دفاع عن النفس ، و آخر سهم فى كنانتهم كانوا يستطيعون أن يطلقوه « بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » فسيدنا إبراهيم استنفد كل ما عندهم من قدرة جواب فأصبحوا مفاسين ، أصبحوا فقراء ، أصبحوا لاشئ عندهم .

ثم بدأ يوجه إليهم الدعوة و يدعوهم إلى الله و إلى التوحيد ، فقـال :

« أ فرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم و آباؤكم الأقدمون ، فانه عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، و الذى هو يطعمنى و يسقين . و إذا مرضت فهو يشفين ، و الذى يميتنى ثم يحيين ، و الذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين » ، (١) .

(١) الشعراء ٧٥ ٨٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

إثبات مفصل و نفى مجمل:

هنالك نكتة عجيبة من معجزات القرآن ، و هو ما نبه عليه شيخ الاسلام ابن تيميـة ، فقال: إن فلاسفة اليونان إذا عرفوا واجب الوجود ، أو المبدأ الفياض - على حد تعريفهم - فانهم يتوسعون و يدققون فى نفى ما لا يليق به عندهم (من الصفات و غيرها) أما إذا تعرضوا للاثبات فانهم يختصرون و يجملون ، ففى الفلسفة نفى مفصل ، وإثبات مجمل ، بالعكس من القرآن ، فهنالك إثبات مفصل ونفى مجمل ، فى وصف الله تعالى ، فى أسمائه وصفاته و كذلك فى الأديان السماوية و تعاليم الأنبياء إثبات مفصل ونفى مجمل (١) » اقرأوا القرآن فى الاثبات و الحديث عن الله تعالى: « هو الله الذى لا إله إلا هو ، عالم الغيب و الشهـــــادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى

---

(١) المعنى مأخوذ من « كتاب النبوات » لشيخ الاسلام ابن تيمية ، و التعبير للمؤلف .

www.abulhasanalinadwi.org

السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم » (١) .

و اقرأوا قوله تعالى فى النفى : « ليس كمثله شئ و هو السميع البصير » (٢) .

وكذلك يقول شيخ الاسلام : إن مآت من أساليب النفى لاتقوم مقام إثبات واحد ، و قد صدق ، فان هذه الحياة التى تعيشها و التى عاشتها البشرية الأولى كلها ، إنما عاشت على الاثبات ، ما عاشت على النفى ، النفى نسبة ضئيلة جداً إلى الاثبات .

الانطلاق و التـــــــدفق
فى الحديث عن الله تعالى :

فسيدنا إبراهيم قال فى جواب قولهم : « نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين » : « هل يسمعونكم إذ تدعون أوينفعونكم أويضرون» فاكتفى بالنفى المجمل ، ولكنه لما جاء إلى ذكر الله تعالى والدعوة إليه توسع و استعان بالاثبات المفصل ، فقال :

« إنهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين و الذى هو يطعمنى و يسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى

(١) الحشر - ٢٢ - ٢٤ .

(٢) الشورى - ١١ .

www.abulhasanalinadwi.org

يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين» (١) خمس خلال ، هنالك خصلتان فقط ، «هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون» ، لكنه لما ذكر الله تعالى و تحدث عنه ، كأنه شعر بطرب وجاشت نفسه ، فتوسع فى الحديث عنه تعالى ، إن الانسان إذا ذاق شيئاً لذيذاً فانه يلوكه و يمضغه و يديره فى الفم ، أما إذا كان الشئ مراً - ولا بد منه - فانه يبتلعه ابتلاعاً و يتخلص منه بسرعة .

فلما ذكر الله تعالى تحركت العاطفة فيه وجاش فيه الايمان فقال : « فانهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى و يسقين ، و إذا مرضت فهو يشفين ، و الذى يميتنى ثم يحيين ، و الذى أطمـــع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين .

مناسبات لطيفة :

هنالك جاشت نفسه مرة أخرى ، فثار يدعو الله تعالى مع أنه ليست هذه مناسبة الدعاء ، فقال : « رب هب لى حكما و ألحقنى بالصالحين ، و اجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، و اجعلنى من

(١) الشعراء - ٧٧ - ٨٢ ،

www.abulhasanalinadwi.org

ورثة جنة النعيم (١) ، و هنالك خطر أبوه بباله و تذكره ، فانه كان من القادة إلى هـذه الوثنية ، و السادن الكاهن المعروف فى البلد ، فقـال : « و اغفر لأبى إنه كان من الضـالين (٢) . ثم استحضر القيامة فقـال : « و لا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال و لا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم (٣) » .

و اقرأوا أخيراً : « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ، و لم يك من المشركين ، شاكراً لأنعمه ، اجتباه و هـداه إلى صراط مستقيم ، و آتيناه فى الدنيا حسنة و إنه فى الآخرة لمن الصالحين (٤) .

---

(١) الشعراء ٨٣ ـ ٨٥ ،

(٢) أيضاً ٨٦ ،

(٣) أيضاً ٨٧ ـ ٨٩ ،

(٤) النحل ١٢٠ ـ ١٢٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

المحاضرة الثالثة

نموذج من دعوة سيدنا يوسف عليه السلام

أما بعد ! فنربط الحديث بالحديث الماضى ، و نمسك الخيط الذى تركناه بالأمس .

عرضنا عليكم نموذجين من نماذج الدعوة النبوية الحكيمة البليغة التى تمثلت فى قطعتين معجزتين من قطع القرآن الدعوية البلاغية، إحداهما القطعة التى تمثلت فيها دعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام لوالده ، التى جاءت فى سورة مريم ، و القطعة الثانية التى جاءت فيها دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه و قومه فى سورة الشعراء .

و الآن نعرض عليكم نموذجا آخر ، نموذج دعوة سيدنا يوسف عليه و على آبائه السلام ، فنتلو عليكم أولا الآيات التى تتصل بهذه القصة من سورة يوسف ، يقول الله تعالى :

« و دخل معه السجن فتيان . قال أحدهما إنى أرانى أعصر

www.abulhasanalinadwi.org

خمرا ، وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه ، نبئنا بتاويله ، إنا نراك من المحسنين ، قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتاويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمنى ربى ، إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله و هم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائى إبراهيم و إسحاق و يعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس و لكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبى السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون ، يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، قضى الأمر الذى فيه تستفتيان (١) .

المحيط الفريد الذى قامت فيه

دعوته عليه السلام :

وقبل أن نشرح هذه الآيات نريد أن نخيل لأذهانكم ، المحيط

(١) يوسف ٣٦ - ٤١

www.abulhasanalinadwi.org

الذى قامت فيه هذه الدعوة ، والأجواء التى اكتنفتها ، فأولا يجب عليكم أن تعرفوا من هو يوسف ؟ ، هو ابن سيدنا يعقوب ، و هو ابن سيدنا إسحاق و هو ابن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، جد الأنبياء ، و إمام دعوة التوحيد فى عصره ، وبعد عصره ، ويوسف ، هو الذى يقول الرسول ﷺ فيه « الكريم ابن الكريم بن الكريم بن الكريم » ، فهو عريق فى العرق ، عريق فى النبل ، عريق فى النبوة ، عريق فى معرفة الله تبارك و تعالى ، عريق فى الأخلاق العالية ، و قد تحدثت عنه الصحف السماوية ، و تحدث عنه تاريخ النبوات و الأدب و الدين ، أنه كان آية فى الجمال ، وأن الله سبحانه و تعالى قد أكرمه بجمال الخلق و الخلق ، و كان الجمال فيه كاملا متسقاً قد التقى فى شخصه الكريم جمال الخلق والخلق والجمال الصورى بالجمال المعنوى والجمال العقلى ـ إذا صح هذا التعبير ـ وجمال الشعور والعاطفة و جمال الرقة والكرم ، فكان جميلا بكل معنى من معانى الجمال ، و قد تجلى هذا الجمال فى كلامه و فى كل تصرفاته و فى كل خواطره .

و قبل أن نتذوق هذه القطعة الدعوية البيانية البلاغية

www.abulhasanalinadwi.org

الرائعة ، (١) يجب علينا أن نستحضر الأجواء التى اكتنفت هذه الدعوة ، اقرأو معى الآيات التى وردت فى قصته من قوله تعالى : « و جاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه ، إلى قوله تعالى : ثم بداهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتى حين (٢) فسيق إلى السجن وأدخل فيه بتهمة برأه الله منها كما برأ من دمه الذئب ، فدخل فى السجن سجيناً مفترى عليه ، و السجون تتلقى الأحكام وتنفذ ، لاشأن لها بالتحقيق ، إنما تتسلم المسجونين ، كما تتسلم نحن البريد ، لا نعرف ماذا فيه ، و قد تكون برقية تحمل نبأ مفجعاً ، وبرقية تحمل بشرى ، كـذلك السجانون الموكلون بالسجون يتسلمون من صدر عليهم حكم السجن والاعتقال ، كما يتسلمون السلع والجمادات ، أمسكوا بيد سيدنا يوسف و هم لا يعرفون بيته و لا شرفه ولا

---

(١) من الغريب أن هذه القطعة المعجزة الجميلة قـد تجردت عنها التوراة ، و إذا قارن الانسان بين قصة يوسف فى القرآن ، و قصة يوسف فى بائبل (BIBLE) وجـد الأولى تتسم بروح الهداية والدعوة ، والعبرة والموعظة ، و وجد الثانية مليئة بالأعداد و الأرقام و المساحة .

(٢) سورة يوسف : ١٩ - ٣٥ .

www.abulhasanalinadwi.org

براءته و أدخلوه فى بقيـــة المسجونين ، و إذا لم تتوفر وسائل التحقيق خارج السجن فكيـــف تتوفر داخل السجن ؟ يغلق بابه على من فيه ولا يدخل إليهم الهواء النقى ، و السجن عالم صغير ، و المسجونون عندهم فراغ فى الوقت و فرصة طويلة للحديث .

موضع احترام و تقدير و ثقة :

ولكن فى أيام قليلة لفت يوسف الأنظار و أصبح حديث السجن ، و قد بدد نوره هذا الظلام المحيط به ، هدوء و رزانة و وقار و سكينـــة ، و ذكر و تسبيح ، و خلق و تواضع ، و عطف و كرم ، فاضطر أهل السجن إلى أن يحترموه ، وكانوا فى ذلك مضطرين ، كأن سائقاً يسوقهم إليه ، وكان كله من تقدير الله سبحانه و تعالى .

ثم ماذا حدث ؟ رأى اثنان من أهل السجن منامين غير عاديين ، أما أحدهما فقـــد رأى أنه يعصر خمراً ، وقـــد شغل بهذا المنام و سيطر على تفكـــيره و على مشاعره ، و الثانى رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً ، تأكل الطير منه . وفيه شئ من الغرابة ، وقد ألهمهما الله تعالى أن يرجعا فى ذلك إلى يوسف ، وهذا ما هدتهما إليه سلامة الفطرة ، و قوة الملاحظـــــة ـ التى لا يخلو منها

www.abulhasanalinadwi.org

إنسان ـ و التجربة القصيرة التى عاشها أهـل السجن ، و أكثر الناس يعتمدون على التجربة و المشاهـدة أكثر مما يعتمدون على العلم و المنطق ، و حكيا رؤياهما قال « أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً ، وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين .

معنى الاحسان :

وما معنى الاحسان فى هذا المكان ؟ هل كان يوسف يملك شيئاً من المال كان قد أخفاه فهو يوزعه عليهم ؟ هذا الذى يتبادر إلى ذهننا إذا سمعنا كلمة الاحسان ، ولكنه شئ غير معقول وغير ممكن العمل بالنسبة إلى يوسف والوضع الذى كان فيه .

الاحسان هو الاتيان بشئ فى درجة أكمل وأجمل بصفـة أجمل وأفضل ، ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ ، وقيل ما الاحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك« هذا هو الاحسان ' فقالا : إنا نراك من المحسنين فى العبادة ، إنا نراك من المحسنين فى الكلام ، إنا نراك من المحسنين فى المعاملة ، وكان سيدنا يوسف ـ كما قلت لكم ـ قـد أحاطت به هالات من هذه التهمـة و من الشائعات ، وآثرت كلمة «هالات» لأن سيدنا يوسف كان قمراً ، فهذا

www.abulhasanalinadwi.org

القمر الانسانى كانت تحيط به هالات من التهم و الشبه والظنون والقياسات ، لماذا أدخل السجن ؟ لعله فعل كذا ، أو فعل كذا ، ولكن انشقت عنه هذه الهالات وأحاطت به هالة أخرى ، وهى هالة الاعجاب و هالة التقدير و الثقة .

أهم من الرؤيا المفزعة و أجـدر بالاهتمام :

لقد عرف يوسف أن الرؤيا الغريبة أفزعت كل واحـد منهما فساقتهما إليه ، وذلك مبلغ علمهما ومناط اهتمامهما ، لا يعرفان السعادة و الشقاء إلا فى هذه الحياة ، و لكن يوسف الذى نشأ فى أحضان النبوة و فتح الله بصيرته و نورها ، و هيأه للنبوة والرسالة ، كان يعرف أن الذى يتناسيانه هو أهم من هذه الرؤيا و هو الايمان بالله - بفاطر هذا الكون و مدبره - و عقيـدة التوحيد التى لا يشوبها شرك ، وهل الحياة - مهما طالت واتسعت - إلا رؤيا يراها الناس؟ وكانا إلى معرفة تأويل هذه الرؤيا أحوج و أفقر ، و كان جهله و تناسيـه أكبر خطراً و أشد ضرراً ، فرأى - بما فطره الله عليه من الرحمة والنصح والاخلاص - أن ينبههما بالخطر الحقيق ، و يزودهما بالعلم النافع الأساسى ، و قد

www.abulhasanalinadwi.org

صادف من العقل وعياً ، و من النفس انتباهاً ـ و لو فى قضية تافهة ـ وذلك لا يدوم ، ولعل هذه هى الفرصة الأخيرة للحديث معهما ، فأراد أن لايضيعها ، وأن يبذر فى هذه التربة التى أصبحت ندية ناعمة ، البذرة الكريمة ، فاتخذ من مناسبة تفسير الرؤيا مدخلا لتوجيه الدعوة إلى الله ، وآثار فطرتهما السليمة للتوصل إلى عقيدة التوحيد الواضحة السائغة .

الجمال الرائع فى فتح الحديث :

وأريد أن تنتبهوا إلى الجمال الرائع فى فتح الحديث ، فمن مظاهر الحديث الجميل جمال المدخل، لأن المدخل له أهمية كبيرة ، إذا كان مدخل الحديث الجميل مدخلا غيرجميل ، أثرفى جماله وأساء إليه ، وكذلك البناء الجميل ، يجب أن يكون مدخله جميلا ، ينشرح له الصدر و يشجع على الدخول .

إن يوسف بدأ الحديث بالتأكيد لهما ، أنه يستطيع أن يفسر النبأ الذى جاءا لأجله و قصداه ، و أنه لم يكن هذا القصد خطأ ، وأنهما ما ضلا الطريق ، و إنما وصلا إلى غايتهما ، وهو الرجل المطلوب الكفؤ ، الذى يستطيع أن ينجدهما و يرشدهما ، فان الأصل النفسى العميق أن صاحب الحاجة يريد أن تقضى حاجته

www.abulhasanalinadwi.org

فى أقرب وقت ، المريض إذا ذهب إلى طبيب يشخص المرض ويصف الدواء ، والطبيب يماطله ويماطله ، يقول : سأراجع الكتب من المصادر الطبية ، و سأراجع فلاناً و فلاناً فى البلد ثم أحاول أن أعالجك ، فالمريض المسكين يتألم قلبه ، وينطفع أمله ، ويرجع خائباً ، و ربما لا يرجع إليه بعد ذلك .

فالشئ الأول أن يثير الانسان الثقة فى ذلك الرجل الذى ساقته الحاجة إليه . و يقنعه بأن علاجه عنده ، و أن طلبته و حاجته ستقضى عنده ، فقال : « لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما » .

يعنى أن حاجتهما ستقضى سريعاً ، لأنهما كانا فى السجن مرتبطين بقوانين السجون و المعتقلات ، فما كان لهما أن يجلسا بجواره طويلا فأراد أن يطمئنهما أن حاجتهما ستقضى سريعاً ، فقال « لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما ، الآية» وهنالك تفسيران للآية .

١ـ التفسير الأول :

إن سيدنا يوسف عليه السلام قال : « لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله » أى تأويل هذا الطعام ، يعنى حقيقة هذا الطعام ، فأراد أن يوجد الثقة فيهما عن طريق إظهار قدرته على التنبؤ بشئ

www.abulhasanalinadwi.org

لم يره ، فاستعان به على إيجاد الثقة فى نفوسهما .

٢ـ التفسير الثانى :

و أنا لا أستسيغ هذا التأويل ، أولا لأنه إخبار بالغيب . ثم أن السجون ليس هنالك تنوع كبير فى الأطعمة ، فباستطاعته ـ بكل سهولة ـ أن يخبرهما بنوع الطعام الذى سيحضر ، فأى ألمعية لسيدنا يوسف عليه السلام ، و أى براعة فى الإشعار بنوع الطعام الذى سيحضر ؟ و جاء فى التوراة أن سيدنا يوسف عليه السلام كان مشرفاً على المطعم ، إن صح هذا فانه لاغرابة لمشرف المطعم فى أن يخبر ، أى نوع من الطعام سيحضر ، فأنا أميل إلى التفسير الثانى الذى ورد فى بعض كتب التفسير ، وهو أنه لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويل هـذه الرؤيا ، حتى يطمئنا أنهما لا يحتاجان إلى جلوس طويل ، و لا يملان ، ولا يأتى السجان فيقول : اذهبا إلى مكانكما ، ومن الذى أذن لكما بالحضور هنا ؟ فقال « لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما »

وكانت مصر على جانب كبير من الحضارة ، و تنظيم الحياة المدنية ، فالمفروض أنه كانت هناك مواعيد مضبوطة للطعام ، وكان وقت الطعام قد حضر ، فلذلك قال : لا يأتيكما طعام الآية .

www.abulhasanalinadwi.org

تنشط النفوس لسماع الحديث

بشـــــــئ لذيذ حبيب :

ثم هناك نكتة حضرت لى الآن ، و هى أن بين المسجونين و بين الطعام الذى يأكلونه فى السجن صلة قوية ، فلما ذكر الطعام أثار فيهم الشوق ، و انتعشت قلوبهم لسماع ذكر الطعام . فالطعام حبيب إلى كل إنسان ، ولكنه إلى المسجون أحب وألذ وأشهى ، فلما ذكره يوسف انتعشت نفوسهما ، و تهيأت آذانهما . فقال : لا يأتيكما طعام ترزقانه » الآية .

ثم تثور فيه الطبيعة النبوية ، فلا يرد الفضل فى ذلك إلى ذكائه و لا إلى براعته بل يرد الفضل إلى الله ، و من هنا ينتقل انتقالا حكيماً قلما يوجد له نظير ، فقال : « ذلكما مما علمنى ربى » فكان المدخل الكريم إلى النصيحة التى يريدها ، و انظروا : كيف ينتقل من تفسير الرؤيا قبل أن يفسرها - إلى الدعوة الحكيمة ، و كان ذلك مما لا يسيغه و لا يتحمله هؤلاء المسجونون ، الذين ساقتهم الحاجة إليه ، و كانا قد فزعا بهذه الرؤيا المفزعة و جاءا فزعين مرتاعين ، فكيف يحتملان هذا الحديث الطويل ، فقال لهما : إنه لا يرجع الفضل فى ذلك إلى ذكائى وبراعتى بل يرجع الفضل

www.abulhasanalinadwi.org

إلى الله - تعالى - ومن هنا يدخل من هذا المدخل اللطيف الرقيق الخفيف على النفوس إلى الدعوة ، تستحضرون حكمته فى الدعوة أنه لم يكن يستطيع أن يقول : صبراً أيها الاخوان ، أيها الزملاء الكرام ، سأفسر لكم الرؤيا ، ولكن اسمعوا منى أولا ، أن هناك شيئاً أهم من هذا ، كيف كانوا ينشطون لسماع هذا الكلام ، وهذا الحديث الذى لم يتعودوه ، وما جاؤا لأجله ؟ فقال من غير انفصال طويل ، بل فى لحظة واحدة .

الانتقال الخفيف الرقيق

إلى عرض الدعـوة :

« ذلكما مما علمنى ربى » استحضروا الجو الذى وقعت فيـه هذه الدعوة الحكيمة التى لاأعرف مثلها دعوة إلا دعوة الرسول - ﷺ - و سأعرض عليكم نموذجاً منها ، و لم أمر بأى نموذج من نماذج الدعوة فى تاريخ الدعوة و الدعاة أدق و أعمق منهـا حيث بدأ الحديث بقوله : « لا يأتيكما طعام ترزقانه . . . » إلى أن قال : ذلكما مما علمنى ربى » ، كيف انتقل إلى الحـديث عن الرب ، و إلى التوحيد ، هل هناك انتقال أخف و أرق وألطف و أسرع من هذا الانتقال ؟ فكأنه يقول : ما كنت لأفسر لكم

www.abulhasanalinadwi.org

هذه الرؤيا ، و أنا الانسان الضعيف العاجز الذى لم أملك نفسى أمام هذا الأمر ، و أراد الناس أن يزجونى فى السجن فلم أستطع أن أقاومهم ، وكيف يستطيع الانسان الضعيف العاجز الذى يساق إلى السجن فلا يملك شيئاً ، أن يصل إلى هذه القمة الشامخة من العلم بنفسه ، بل « ذلكما مما علمنى ربى » .

رحـــــــلة طويلة يطويها

سيدنا يوسف فى لحظة واحدة :

ثم أثار سؤالا آخر ، و هو لماذا علمنى ربى ؟ و من هنا انتقل انتقالا آخر ، إنها رحلة طويلة فى طريق الدعوة ، لكن سيدنا يوسف بحكمته و بروحانيته الشفافة ، وقلبه المشرق ، وبفكره النقى الربانى ، استطاع أن يطوى هذه الرحلة الطويلة التى قد يطويها الدعاة والحكماء والفلاسفة فى عدد من السنين ، استطاع أن يطويها فى لحظة واحدة ، فقال : « ذلكما مما علمنى ربى ، إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله و هم بالآخرة هم كافرون » (١) .

هنالك شعر سيدنا يوسف ـ عليه الصلاة و السلام ـ أنه الآن فى موقف قوى ، فى موقف عال ، كأنه طلع جبـــلا ، أو

(١) يوسف ٣٧ .

www.abulhasanalinadwi.org

ربوة عالية ، فقال : « يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » (١) ؟ ، و كان لو قدم هذا قبل ذلك الكلام ، لكان كلاماً ثقيلا على آذانهما و على قلوبهما ، و لكن هنا استطاع أن يقول ، وحق له أن يقول : « يا صاحبي السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » لاحظوا هذا التقديم و التأخير ، و لاحظوا هذا الترتيب القرآنى ، الترتيب الحكيم ، و كان لو استمر فى الكلام كان الكلام ممجوجاً ، ولكنه شعر بقوة فى نفسه ، وشعر بحسن استماع منهم لما كان يقرأ فى وجوههم أنهم تهيأوا لاستماع هذا الصوت الذى يأتى من السماء ، لأنه دعوة الله للعبيد عن طريق الأنبياء و المرسلين ، فقال : « يا صاحبي السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار» اشعروا بالنبرة التى تختلف عن النبرة الأولى ، كانت النبرة الأولى رفيقة لطيفة خفيفة ، فجاءت هذه النبرة قوية ، متدفقة بالحياة متدفقة بالثقة ، و كان ذلك من أقرب الطرق إلى فهمهم ، أما لو استعان بأشياء منطقية و كلامية ، لما كان لهم أن يفهموا منه ذلك .

---

(١) يوسف ٣٩

www.abulhasanalinadwi.org

إعجاز قرآنى عجيب :

ثم قال : « ما تعبدون من دونه إلا أسماءاً سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان (١) » . إنها أسماء من غير مسميات ، إنها أسماء لا حقيقة لها ، أسماء عند اليونان و أسماء عند البراهمة الوثنيين ، وأسماء عند غيرهم من أمثالهم ، إن الاعجاز القرآنى يكمن فى أنه أطلق عليه كلمة الأسماء . إن الذى قرأ تاريخ الديانات و تاريخ المثولوجيا ، يعرف إعجاز هذه الآية ، إنه ليس هناك إلا أسماء محضة ، أين الآلهة ؟ أين إله المطر و إله الحرب ؟ وأين إله الحب و إله الجمال ؟ أين هذه الآلهة ؟ التى لا وجود لها إلا فى الذهن و فى القائمة الخيالية ؟ « إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » ، و لا تزال هذه الآية معجزة إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، و ليست الوثنية إلا أسماء ، وقد فضح القرآن الوثنية بقوله : « إن هى إلا أسماء »

طريقة الداعى الملهم :

و هنالك شعر سيدنا يوسف بأن الفراغ الذى وجد فى قلوبهم قد ملىء ، و ليس من الحكمة الآن أن

(١) يوسف ٤٠

www.abulhasanalinadwi.org

يطيل الكلام ، و يتوسع فى الحديث عن التوحيد ، و الطبيب النطاسى يعرف مقدار الوجبة من الدواء ، ومدى صلاحية المريض وحاجته ، فلايزيد عليها ، إنها طريقة الداعى الملهم ، الداعى المؤيد من الله ، إنه يشعر أنه قد وصل إلى نقطة لا يجوز له أن يتخطاها ، و لأجل ذلك فان من يضع القوانين المحددة للدعوة أو التربية يجنى عليها ، على إطلاقها وحريتها و حيويتها ، ويجنى على الدعاة (١) .

وإلى اللقاء فى عرض نموذج دعوة سيدنا موسى عليه و على نبينا الصلاة و السلام .

---

(١) اتفق للمؤلف أن يلقى محاضرة فى ١٧ ٤/ ١٤٠٠هـ فى قاعة المحاضرات بالجامعة الاسلامية فى المدينـــــة المنورة ، كان عنوانها «حكمة الدعوة وصفة الدعاة» جاء فيها حديث عن دعوة سيدنا يوسف ، و تفتحت له جوانب جديدة من الجمال و الروعة البيانية فى هذه القطعة ، فضمها إلى هذه المحاضرة التى سبقت محاضرة الجامعـــة الاسلامية بشهور عند تحرير هذه المجموعة ، إكمالا للفائدة .

www.abulhasanalinadwi.org

المحاضرة الرابعة

امثلة من دعوة سيدنا موسى عليه السلام وحكمته النبوية

لوحة جميلة أخرى من الدعوة النبوية :

نعرض عليكم اليوم لوحة جميلة أخرى من الدعوة النبوية ، دعوة سيدنا موسى ، الدعوة التى كلف بها ليبلغها إلى فرعون ، وهذه الصورة تختلف عن الصورة التى قدمناها قبل هذا ، وعن الصورة التى نقدمها بعدها كذلك ، فى ثلاثة جوانب ، تختلف هذه الصورة فى طبيعة الدعوة ، و فى وضع الداعى ، و فى واقع المدعو إليه ، فهذه الدعوة التى قام بها سيدنا موسى - أو كلف بها على الأصح - تختلف فى نفس الدعوة ، إنها لا تختلف عن دعوات الأنبياء الآخرين عليهم الصلاة و السلام فى الأسس و فى الأهداف وفى الأجزاء الرئيسية ، الدعوة إلى الله ، و الدعوة إلى التوحيد ، و الدعوة إلى الايمان بالبعث والنشر و بالحياة الآخرة ، والايمان

www.abulhasanalinadwi.org

بصفات الله تعالى و الحقائق الغيبية ، ، و لكنها تختلف فى جانب واحد ، و هو أن هذه الدعوة اقترنت بها مهمة أخرى ، اقترنت بها مهمة إنقاذ بنى إسرائيل من عذاب فرعون و من اضطهاده .

مهمة سيدنا موسى تختلف عن مهمة الأنبياء الآخرين عليهم الصلاة والسلام:

إن الأوضاع التى ولد فيها سيدنا موسى و عاش فيها ، و الأجواء و الملابسات التى اقترنت به ، جعلت مهمته تختلف عن مهمة الأنبياء الآخرين عليهم الصلاة و السلام أجمعين ، اختلافاً يسيراً ، و هو أنه كلف أن يقول لفرعون كلمة صريحة أنه جبار وأنه تسلط على بنى إسرائيل ، أولاد الأنبياء المؤمنين بالله ، والمؤمنين بعقيدة التوحيد وحدهم فى ذلك العصر ، لم تكن القضية قضية أمة من الأمم و لا قضية مجموعة بشرية من المجموعات الكثيرة التى كان يزخر بها العالم ، و لا تزال هذه المجموعات على وجه الأرض لو كانت القضية قضية أمة مضطهدة ، قضية أمة تسلط عليها جبار سخر الأمة ليقضى مآربه و أخذها بالسخرة الظالمة والقسوة البالغة و بالاضطهاد الدينى ، لكان أمراً يسيراً ، فهذا يقع كثيراً ، وقع

www.abulhasanalinadwi.org

فى كل فترة من فترات التاريخ ، و سيقع فى كل حقبة من أحقاب الزمان .

ميزة بنى إسرائيل فى معاصريهم :

ولكن لم تكن القضية بهذه المكانة من البساطة و السهولة ، كانت هذه الأمة هى الأمة الوحيدة التى كانت تؤمن بالله إيماناً صحيحاً - على علاتها و على ما كانت تعانى من أدواء خلقية ودينية كذلك - و لكنها كانت هى البقية الباقية التى كانت تؤمن بالله إيماناً صحيحاً ، تؤمن بالتوحيد وهى الأمينة على عقيدة التوحيد ، فقد ثبت تاريخياً أن بنى إسرائيل كانوا فى كل فترة من فترات التاريخ ، على رغم أدوائهم الكثيرة ، و رغم انحطاطهم الخلق والاجتماعى ، متمسكين بعقيدة التوحيد ، و قد أتى على الناس حين من الدهر لم يكن لعقيدة التوحيد وجود إلا فى اليهود ؟ و لذلك علل المفسرون أشرفية السلالة الاسرائيلية بكونهم محافظين على عقيدة التوحيد فى الظلام السائد على العالم من الشرك والوثنية (١) . لم تكن

(١) فان الله يؤكد هذا المعنى ويكرر فيقول : « يا بنى إسرائيل أذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين » (البقرة ٤٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

القضية أن بنى إسرائيل وقعوا تحت سنابك خيل فرعون وجنوده و وقعوا تحت رحمتـــه و هو قاس جبار ، بل إن القضية أن بنى إسرائيل كانوا حاملين لعقيدة التوحيد وحاملين للأثارة للنبوات السابقة ، كانت عندهم الأمانة العزيزة ، البقية من تعاليم الأنبيـاء عليهم الصلاة و السلام .

ألقيت على عاتقه عليه السلام مهمتان :

فسيدنا موسى يختلف عن الأنبيـاء الآخرين ، لأنه ألقيت على عاتقه مهمتان ، مهمـة دعوة فرعون إلى الله الواحد القهار الذى لا شريك له فى الملك ، و لا فى التشريـع ، ولا فى أى شئ ، و مهمـة أخرى و هو أن يدعو فرعون إلى أن يترك بنى إسرائيل و شأنهم ، و يفك أسرى بنى إسرائيل . فقد جاء فى القرآن صريحاً : « فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل و لا تعـذبهم ، قد جئناك بآية من ربك و السلام على من اتبع الهدى (١) هذا هو الجانب الذى يميز دعوة موسى عن دعوة الأنبياء الآخرين و كان موقفاً حرجاً ، لماذا ؟ ، لأن لسيدنا موسى قصة ، قصة فريدة ، وحياته حياة من طراز آخر .

(١) طـــه ٤٧ .

www.abulhasanalinadwi.org

أراد فرعون أن لا يولد مولود عادى فى بنى إسرائيل ، و أراد الله أن يولد أكبر مولود :

إنه ولد فى جو قاتم خانق قاتل ، إن فرعون وجه تعليماته إلى « قسم المخابرات » كما تقول المصطلحات الحالية ، إلى شرطته أن لا يدع أحداً يولد فى بنى إسرائيل « إن فرعون علا فى الأرض و جعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم و يستحى نساءهم ، إنه كان من المفسدين (١) » إن فرعون قد خطط تخطيطاً دقيقاً ، تخطيط الحكومات المنظمة أن لا يولد فى بنى إسرائيل مولود جديد ، و ينقرض جيل بنى إسرائيل ليتخلص منهم تماماً ، و تبقى طبقة النساء ، يذبح أبناءهم و يستحى نساؤهم ، إنه قرر كملك صاحب حول وطول ، وأراد أن لا يولد أى مولود عادى ، وأراد الله أن يولد أكبر مولود ، و أرهب مولود ، أراد أن ينجو وأن يتفادى وأن يستريح من مولود يشكل خطراً على حكمه و خطراً على مشاريعه ، وخطراً على مخططاته ، ولكن الله سبحانه و تعالى خيب مخططه لأنه أمر أن يولد موسى الذى كان يذبح له الأطفال ، إنما كانوا يقتلون الأبناء فى حساب موسى

(١) القصص ٤

www.abulhasanalinadwi.org

و لكن المـــــــــــولود الذى كان فرعون يخشاه و كان يرصـــد له ، ولد ، ثم أراد أن لا يعيش فعاش ، و أراد أن لا ينشأ فنشأ ، و أراد ان لا يشب فشب ، و كيف عاش وكيف نشأ ، هذا من عجائب التاريخ الانسانى ، ومن معجزات قدرة الله تبارك و تعالى ، إنه نشأ فى أحضان ألد عدو و فى حجر أعدى عدو يوجد على وجه الأرض .

جو خارق للعادة :

تستحضرون هذا الجو الذى كان جواً خارق العادة ، و كل شئ فيه خارق للعادة « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عـــدواً و حزناً ، إن فرعون و هامان وجنودهما كانوا خاطئين ، وقالت امرأة فرعون قرة عين لى و لـــك ، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخـــذه ولداً و هم لا يشعرون ، و أصبح فؤاد أم موسى فارغاً ، إن كادت لتبدى به لو لا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ، وحرمنا عليه المراضع من قبل ، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم و هم له ناصحون ، فرددناه إلى أمه كى تقر عينها و لا تحزن

www.abulhasanalinadwi.org

و لتعلم أن وعد الله حق و لكن أكثرهم لا يعلمون (١) .

ثم خرج من غير استئذان ، و كان منه من قتل القبطى - أحد أعضاء الأسرة الحاكمة أوالشعب الحاكم - ما حكاه القرآن : « و دخل المدينـــة على حين غفلة من أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ، فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل مبين (٢) .

هذا من معجزات الايمان و من معجزات القدرة الالهية ومن الآيات البينات ، إن الله يكل هذه المهمة إلى فرد موقفه أضعف من كل فرد من أفراد بنى إسرائيل .

محنة لقوة النفس و قوة الايمان :

الشئ الثانى أن سيدنا موسى الذى حكى القرآن قصته فى سورة القصص فى تفصيل أكثر ، و فى سور أخرى تارة باجمال و تارة بتفصيل ، هذا الذى يؤمر بالدعوة و فى كل منهما محنـــة عظيمة للايمان ، و محنة التوكل على الله ، و محنـــة لقوة النفس ولقوة الايمان ، محنة المطالبة بحرية بنى إسرائيل ، فهذا الشئ الذى

(١) القصص ٨ - ١٣ (٢) أيضاً - ١٥

www.abulhasanalinadwi.org

يجعل سيدنا موسى عنده شئ من الارتباك ، لذلك يقول القرآن على لسـانه فى سورة القصص : « و لهم على ذنب فأخاف أن يقتلون » (١) و هو الذى أشار إليه فرعون بقوله : « وفعلت فعلتك التى فعلت و أنت من الكافرين » (٢) فهذا يجعل سيدنا موسى مرتبكا بعض الارتباك ، و متردداً بعض التردد ، عند ما أكرم و أمر بأداء هاتين المهمتين ، و تبليغ هـاتين الرسالتين ، و لكنـه سبحـانه و تعـالى كان أعلم بأن موسى هو الرجل المهيأ ، الرجل المختار لهذه الدعوة

و الآن تأتى أمامنا قطعة من القرآن فيها امتحان لسيـدنا موسى كنبى ملهم و كداع حكيم يجمع بين الغيرة على هذه الدعوة وبين الفقه الدقيق العميق لها ، ولا بد أن يكون النبى هو الأسوة و المثل الكامل فى منهاج الدعوة ، هذه هى النقطة الدقيقة الحاسمة بين الدعاة المقيضين المهيئين للدعوة ، المؤيدين من الله ، وبين الدعاة المحترفين المصطنعين ، المتكلفين المتملقين ، المجاملين الذين يسمون أنفسهم « واقعيين » .

---

(١) الشعراء ١٤

(٢) الشعراء ١٩

www.abulhasanalinadwi.org

أحب عباد الله إلى أبغض عباد الله :

فأولا يجب أن نلاحظ أن الله سبحانه و تعالى يرسل سيدنا موسى الذى هو حبيبه وصفيه إلى رجل هو أكبر عدو له ، يعنى هنالك نسبة المضادة . نسبة التفاوت العظيم الذى لا يقوم بين رجلين عاديين ، إنما يقوم بين رجلين هما على طرفى النقيض ، أحب عباد الله إلى أبغض عباد الله ، أعظم الرسل فى عصره ، يرسل إلى إنسان قد تحدى القدرة الالهية و قد تحدى الكبرياء الالهية ، وقد جاء فى الحديث القدسى : الكبرياء ردائى ومن نازعنى ردائى قصمته » ، و قد بلغ من التحدى و من الوقاحة و من الجرادة على الله آخر نقطة ، فقال : « أنا ربكم الأعلى » (١) فيرسل الرسول الذى يكرم بالرسالة و يكرم بالاصطفاء و بالكلام و بالمناجاة مع الله تبارك و تعالى ، يرسله إلى أكبر عدو اقترف أكبر ذنب ، ثم قد ضم إلى ذلك أنه ادعى الألوهية « قال أنا ربكم الأعلى » ، فيرسل الله تبارك و تعالى مثل هذا الرسول الكريم إلى هذا العدو البغيض الرجيم ، ولكن ماذا يقول له : « فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى (٢) » بعد ذلك لايمكن أن يتعلل

---

(١) النازعات ٢٤ (٢) طه ٤٤

www.abulhasanalinadwi.org

إنسان و يقول : إنى أغلظت لفلان القول لأنه كان كذا وكذا ، لأنه ما يمكن لانسان أن يبلغ إلى هذا المدى من الوقاحة و من الصلف و من الكبرياء و من التحدى لقدرة الله تبارك و تعالى و جبروته و ملكه ، فيقول : « أنا ربكم الأعلى » .

« قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى » (١)

قد كان فى موقفه ضعف و حرج و دقة ، لذلك قال الله تعالى : « لا تخافا إننى معكما أسمع و أرى ، فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل و لا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك ، والسلام على من اتبع الهدى ، إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ، قال فمن ربكما يا موسى ، قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى » (٢) .

السهم المسموم من كنانة فرعون :

تفتقت قريحة فرعون الشيطانية و أخذ من كنانته سهماً مسموماً ، هوالسهم الذى لايطيش ، السهم الذى لو أطلق على أى واحد من الدعاة الأذكياء الحاذقين الذين درسوا فلسفة الدعوة

(١) طه ٤٥

(٢) طه ٤٦ - ٥٠

www.abulhasanalinadwi.org

و درسوا علم النفس ، و علم الاجتماع ، و علم الجدل والمخاصمة ، تحقق له الفشل الذريع ، قال : « فما بال القرون الأولى (١) » هـذا من ذكاء فرعون الشيطـانى ، فانه أراد أن يحرك غضب ندمائه الذين كانوا جالسين ، أراد أن يتخلص و أن يصيد بهـذا السهم الواحد صيدين ، أولا أراد أن يشغله عن الدعوة إلى التوحيد لأن أخوف ما يخافـه ، هو التوحيـد الذى يحرك السواكن من القلوب ، ويحرك الايمان الدقيق الكامن فى قرارة نفوس هؤلاء ، لأنهم كانوا بشراً و كانوا بنى آدم ، وكان فيهم أصحاب عقول و ضمائر ، فكان يمكن أن يحرك هذا ، فأراد أولا أن يشغل عن هذه النقطة الحساسة التى كانت من أبغض النقط إلى فرعون ، و كان من أوحش الناس لها ، ثم أراد أن يأخذ فى جواره هؤلاء الذين كانوا جالسين حوله ، لأنه بقى وحـده ، و كان مخاطباً وحده ، فأراد أن يكسب ودهم و يثير حميتهـم الجاهلية ، فأثار موضوعاً شديد الحساسية بالنسبة لهؤلاء المتكبرين « قال فما بال القرون الأولى » هنالك احتمالان ، إما أن لا يجابى موسى ولا يجامل ويقول : هم فى جهنم : « إنكم وما تعبدون من

(١) طه ٥١

www.abulhasanalinadwi.org

دون الله حصب جهنم ، أنتم لهـــا واردون (١) ، فماذا تكون العاقبة ، هؤلاء تثور فيهم حمية الجاهلية و يشيطون غضباً و على الأقل أنهم لا يسمعون لموسى كلاماً ، إما ينفضون من هناك وإما يبطشون بسيدنا موسى ـ أكرمه الله و عصمه ـ وإما أن يحدثوا صخباً و غوغاء ، ماذا تقول يا موسى ؟ قد أهنت آباءنا وجرحت شعورنا .

السر الكامن و الاعجاز الكامل :

و هنالك احتمال آخر ، وهو أن يسكت موسى أو يجامل آباءهم ، فيقول : نحن نحترمهم و أنهم كانوا على علم كبير ، أشياء من المجاملة ، فكان لا بد أن يتمسك فرعون بهذا و يتشبث به و يقول : إذا كانوا يستحقون الاحترام ، و إذا كانوا أجلاء ، فانهم كانوا على عقيدتى ، و لكن ماذا قال موسى ؟ « قال فما بال القرون الأولى ، قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى و لا ينسى » (٢) ثم تخلص من هـــذا إلى ما كان يقوله مثل « الحديث بالحديث يذكر » ، كان يمكن أن يقول علمها فى التاريخ ،

(١) الأنبياء ٩٨ .

(٢) طه ٥١ ـ ٥٢

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن إذا قال التاريخ المجرد ، أو فى قصص الأولين لتحول الموقف و صار فرعون يخطب و يتكلم ، و احتج بالتاريخ المؤلف المختلق فى عصره ، و المدروس فى مدارسه ، و لكنه قال : « علمها عند ربى فى كتاب ، « تلاحظون التعبير الدقيق و تخير الكلمات ، هنا السر الكامن و الاعجاز الكامل ، كان هنالك ألف تعبير و يستطيع كل واحد منا إذا واجه هذا الموقف أو وقع فى مثل هذه المحنة يتخلص منها بألف تعبير ، خل هذا الذكر ، أترك هذا الحديث ، هذا فى قصص الغابرين ، هذا فى حديث الأولين .

التمسك بالدعوة و عدم الحياد عنها :

و لكن موسى لم يترك سبيل الدعوة ، و لم يترك الخيط الذى كان متمسكا به ، بل انتقل بسرعة لا تتصور سرعة أكثر منها ، وببلاغة لا تتصور بلاغة أبلغ منها ، وبحكمة لا تتصور حكمة أقوى و أدق منها ، بكلمة واحدة « علمها عند ربى » و لم يرد أن تطول هذه العبارة ، لأنه إذا طول هذه العبارة انتهز فرعون الفرصة و اقتحم المعركة ، « قال علمها عند ربى » وصل بها إلى ما كان عليه « علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى » ثم استمر وبدأ يذكر صفات الله التى كان يتهرب منها فرعون ، وهذا

www.abulhasanalinadwi.org

الذى كان فرعون يحب أن يتخلص منه، والله هناك تأخذ الانسان هزة و طرب أدبى و طرب عقلى « علمها عنـــد ربى فى كتاب لا يضل ربى و لا ينسى ، الذى جعل لكم الأرض مهداً و سلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماءآ فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى » (١)

مراوغة (٢) فكرية من فرعون ، واستقامة موسى ونجاحه فيها :

والمثل الثانى ترونه فى سورة الشعراء، « قال فرعون و ما رب العالمين ، قال رب السماوات و الأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن حوله ألا تستمعون ، قال ربكم و رب آبائكم الأولين ، قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » (٣) هنالك مراوغة فكرية ، بلاغية دعوية ، كيف يحاول فرعون أن يتخلص و أن يغطى هذا الموقف ، يغطيه بسياسته و بلباقتـــه و بتجاربه

(١) طه ٥٢ ـ ٥٤

(٢) المراوغة قد تطلق فى معنى المخادعة المذمومة ، و المقصود هنا التنقل جيئة و ذهوباً من مكان إلى مكان ، والقيام بحركة مفاجئة فى اتجاه جديد ، كما يفعل اللاعب الماهر مع منافسه ، وأقرب كلمة إليه فى اللغة الانجليزية (Dodge)

(٣) الشعراء ٢٣ ـ ٢٧

www.abulhasanalinadwi.org

فيريد أن ينتقل من موضوع إلى موضوع ، و موسى عليه السلام يأبى إلا أن يواصل هذا الموضوع « قال فرعون وما رب العالمين » و كان فرعون يتوقع أن موسى عليه الصلاة و السلام يقول كلمة ثم تجرى المناقشة ، لكن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام اختار الشئ الذى يضرب على الوتر الحساس « قال فرعون و ما رب العالمين ، قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين» « ما بينهما » معنى ذلك أن عرش فرعون قائم على غير قوائم ، لم ينطق موسى عليه السلام و لم يكتف بقوله « رب السماوات و الأرض و ما بينهما » و لكنه قال « إن كنتم موقنين » تحداه كذلك و وضع الأصبع على موضع الداء « إن كنتم موقنين » .

فرعون يطلق السهم الوحيد فى كنانته :

هنالك أطلق فرعون نفس السهم الذى أطلقه فى الموقف الأول ، الموقف واحد ، و لكن القرآن يتنوع بحكايته ، « قال لمن حوله ألا تستمعون » يعنى ألا تثورون ، ألا تغضبون ، ألا تقومون للدفاع عنى ، أفقدتم الأنفة والشعور بالغيرة ؟ ، ألا تستمعون ؟ و قبل أن يتكلم هؤلاء أو يحركوا ساكنهم ، قال « ربكم ورب آبائكم الأولين » هنالك كذلك حاول فرعون مرة

www.abulhasanalinadwi.org

ثانية أن يتخلص من هذا الموقف الحرج و من هذه الأزمة التى واجهته فقال : « إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » وهنالك رجا فرعون أن موسى يدافع عن نفسه ، يقول لست مجنوناً ، هذا كان متوقعاً عن صاحب عقل ، و قد أثبت ذكاءه و سلامة ذهنه ، فى مناسبات كثيرة .

آخر سهم فى كيد فرعون :

فعرف فرعون موضع الداء فى النفس الانسانية ، أن الانسان إذا أهين أو أن الانسان إذا انتقد أنه ينسى كل شئ ويدافع عن نفسه كأنى به أسمع وأرى ، كان يتوقع أن موسى ينسى دعوته وينسى كل شئ ، ويقول : من يقول أنا مجنون ؟ أطلبوا الأطباء يفحصون عنى فحصاً طبياً ، ويقدموا إليك تقريرهم ، فكان هذا رجاء فرعون فى قوله : « إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » .

ولكن موسى أجابه بقوله : « قال رب المشرق و المغرب و ما بينهما إن كنتم تعقلون (١) » ، لم يدافع عن نفسه ، و لم يقل أى كلمة فى الدفاع عن نفسه ، إنه كان مرسلا من الله

(١) الشعراء ٢٨ -

www.abulhasanalinadwi.org

تبارك و تعالى ، مكلفاً بالدعوة . فقضية الجنون و العقل هـذه قضايا بالنسبة إلى هذه الدعوة الكريمة الجليلة ، قضايا لا قيمـة لها فى المجتمع الذى يسود فيه الشرك ، فى المجتمع الذى تسود فيه الوثنية ، فى المجتمع الذى تشيع فيه الجنايات والجرائم . فى المجتمع الذى تهتك فيه الأعراض ، فى المجتمع الذى يقتل فيـه الأبرياء و تقتل الأطفال ، ما أهمية الجنون ؟ إنه تناسى هذه التهمة و قال « رب المشرق و المغرب و ما بينهما إن كنتم تعقلون » هذا آخر سهم فى كبد فرعون لأنه كان يعتقد أنه رب المشرق و المغرب فى مصر ، و كان يعتقد أن العالم فى مصر ، وكان يعتبر أن الذى يملك مصر و يحكم مصر فهو رب العالم ، فلما قال « رب المشرق و المغرب و ما بينهما إن كنتم تعقلون » إنه حطم البناء الذى قامت عليـه دعوى فرعون و قام عليه عرش فرعون و حكمه .

هذا مثال من أمثلة الدعوات النبوية وحكمتهم ، و هذه الصورة الثانية تختلف فى الدعوة والداعى والمدعو إليه ، الدعوة هى دعوة معقدة دقيقة ، و الداعى موقفه دقيق و حرج ، و المدعو إليـه أكبر ملك ، لذلك هذه الصورة تستحق الاهتمام منا ، و تستحق الدراسـة ، و تستحق التأمل الدقيق و استيحاء الحكم و النتائج العميقة و البعيدة المدى ، من هذا النموذج الذى عرضـه القرآن فى حكاية سيدنا موسى و فى حكاية دعوته .

www.abulhasanalinadwi.org

المحاضرة الخامسة

موسى عليه السلام مع قومه "بنى إسرائيل"

الحرب الداخلية قد تكون أشد خطراً من الحرب الخارجيـــة :

كان الحديث عن موقف سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فى الدعوة أمام فرعون ، الملك الجبار ، فكيف كان موقفـه أمام قومه بنى إسرائيل ؟ فان الحرب الداخلية قد تكون أشـد خطراً وأكثر دقة من الحرب الخارجية. إن الحرب بين رجل ومنافسه الذى لا يتصل به بنسب و بعقيدة ، قد تكون أهون من الحرب التى تكون بين الرجل و أهل بيته ، بين الوجل و عشيرته ، بين الرجل و بنى جلدته ، الذين يلتفون معـــه على نسب أو دم ، أو وطن أو جنس ، فكيف كانت مواقف موسى عليـــه الصلاة و السلام أمام قومـه ؟

www.abulhasanalinadwi.org

أربعة مواقف و اضحة حاسمة
لسيدنا موسى مع قومـــه :

وإجابة عن السؤال الوجيه نقول : إننا إذا تأملنا فى القرآن الكريم وجدنا لسيدنا موسى أربعة مواقف واضحة حاسمـــة مع قومه ، ونريد أن نصل بذلك إلى نتائج ذات قيمة فى منهج الدعوة و فى موقف الدعاة ، كيف يجب أن يكون موقفهـــم مع أحب الناس و مع أقرب الناس إليهـــم ، و نتلقى منهم درساً خاصاً ، هو أن موقف الداعى أمام قومـــه ، أو أمام أعـــدائه أو أمام أقرب الناس إليـــه ، يكون دائماً موقف الداعى ، يعنى أن طابع الدعوة يغلب على هذا الموقف ، مهما تنوع هذا الموقف فى الطبيعة و مهما اختلفت المناسبات ، و لكنه دائماً هو الداعى ، و هو يتكلم بلغـة الدعوة ، و يرمى إلى الدعوة ، و يضرب على الوتر الحساس ، و يقصد من كل ذلك غرس الدعوة فى نفوسهم وتهيئة النفوس لقبول هذه الدعوة و نبذ كل ماعارض الدعوة و أضربها أو جنى عليها ، إن مهمـــة سيدنا موسى تختلف باختلاف البيئة و باختلاف الظروف المحيطة ، و باختلاف المجتمع و الجو الذى ولد فيه و عاش .

www.abulhasanalinadwi.org

موقف نبي داع لاموقف زعيم سياسي :

إن مهمة سيدنا موسى التي طالب فيها فرعون - بأمر من الله - باطلاق حرية بني إسرائيل ، فيها شئ من الالتباس ، و هو الذي أريد أن أنبهكم عليه . إن كل من وقف هذا الموقف تغلب عليه الحمية السياسية ، وتثور فيه الحمية القومية، و يخاطب بلسان السياسية أو بلسان « الحقوق » أوبلسان الاحتجاج ، شعب مستعبد مضطهد بأسوء معاني الكلمة ، ولا قول أبلغ من قول الله تبارك و تعالى : « و إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (١)» وقول الله تعالى في سورة القصص : « إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم و يستحي نساءهم إنه كان من المفسدين (٢) » إن كل من كان شأنه هذا ، و يقف مدافعاً عن قوم و يريد أن يحررهم و يتحدى القوة المتغطرسة الظالمة التي قهرته و داست كرامته ، و أهانته في أعز الأشياء عنده ، إن شأنه أن تتغلب عليه النفسية القومية و يخاطب بلسان

(١) البقرة ٤٩ .

(٢) القصص ٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

السياسة و بلسان المطالبة بالحقوق ، و المطالبة بالحقوق لها لغـــة خاصة و لها تعبيرات خاصة .

و لكن الشئ الذى أريد أن ألفت نظركم إليه ، أن موسى عليه السلام ، شأن جميع إخوته الأنبياء والمرسلين ، كان نبياً مرسلا و الذى اصطفاه الله تبارك وتعالى لكلامه ، وكان داعياً إلى الله وإلى الايمان و العقيدة قبل كل شئ . فأريد أن تلاحظوا وتتأملوا فى الآيات التى سأقرؤها عليكم كيف استطاع سيدنا موسى وكيف أعانه الله تبارك و تعالى على أن لا يرجح كفة الاحتجاج و كفة المطالبة بالحقوق ، أو كفة الغضب والحمية القومية على كفة الدعوة ، ففى مثل هذه المناسبات الحساسة الدقيقة ، ينسى الانسان كل شئ و تثور فيه الحمية الجاهلية ، وتتغلب عليه النزعة القومية ، ويتكلم بلسان القوميين السياسيين ، و لكن كيف أن الله تبارك و تعالى أعان سيدنا موسى على أن لايدع هذه النزعة تغلب الايمان القوى ودعوة فرعون إلى الله وبيان الحقائق الدينية ، و سنة الله تبارك و تعالى فى خلقه ، و سنة الله تعالى فى الأمم و الأجيال و فى الخلق ، الآن نتلو عليكم الآيات :

www.abulhasanalinadwi.org

أرادوا أن يصيدوا عصفورين بسهم واحد :

« وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض و يذرك و آلهتك ، قال سنقتل أبنـــاءهم و نستحى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون » (١) ، أرادوا أن يصيدوا عصفورين بسهم واحد ، عصفور فرعون - إذا صح أن يسمى عصفوراً - و عصفور قومه ، قالوا لفرعون الكلمة التى كانت تثير فرعون و تهيجه ، هو قولهم : « ليفسدوا فى الأرض » ، و أما الكلمة التى كانت تثير عباد العجل و عباد الأصنام فقولهم : « و يذرك وآلهتك » جمعوا فى هذه الكلمة بين الجانبين « قال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك ، قال سنقتل أبناءهم و نستحى نساءهم و إنا فوقهم قاهرون » .

الروح النبوية تتجلى فى أروع مظاهرها :

فى مثل هذه المناسبة الرهيبة ، و فى هذا المقام الذى تثور فى الانسان الحمية و النخوة ، لم ينس موسى منهج الكلام الذى التزمه دائماً ، والرسالة التى كان يحملها ، وهنا تتجلى الروح النبوية فى أروع مظاهرها ، تصوروا لووقف هذا الموقف أى واحد من

(١) الأعراف ١٢٧ .

www.abulhasanalinadwi.org

الدعاة و أى واحد من العلماء ، لخاطب فرعون و قومه بدل أن يخاطب قومه ، و لكن موسى خاطب قومه ، لأنهم هم المخاطبون الأولون وعليهم الاعتماد ، وبهم يبدل الله تبارك و تعالى الوضع .

موقف الداعى المستقيم الذى هيأه الله لأمر عظيم :

« قال موسى لقومه استعينوا بالله و اصبروا ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للتقين » (١) ، قال موسى : استعينوا بالله ، ما قال اعتمدوا على العدد الكثير الذى تتمتعون به ، اعتمدوا على ما أكرمكم الله به من الذكاء والمواهب الأصيلة ، لأن بنى إسرائيل معروفون بالذكاء من قديم الزمان و فى المواهب الفطرية ، إن موسى عليه الصلاة و السلام لم يتعرض لشئ مما كان يمتاز به بنو إسرائيل ، ولاشك أن بنى إسرائيل كانوا يمتازون بالشئ الكثير ، و كان موسى من أدرى الناس به ، ولكنه أبداً لم يلجأ إلى أى شئ ، ماذا قال ؟ كأنه كان واقفاً على منبر فى مسجد من المساجد ، فيقول « استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للتقين » هذا موقف الداعى الأمين ، الداعى المستقيم ، الداعى الذى هيأه الله لهذا الأمر العظيم ،

(١) الأعراف ١٢٧ .

www.abulhasanalinadwi.org

هنا الدعوة إلى الله ، هنا الدعوة إلى التوكل ، هنا الدعوة إلى تفويض الأمور إلى الله تبـارك و تعالى ، هنا الدعوة إلى الصمود و إلى الثبات أمام تهديدات فرعون ، التى جاءت فى قوله : « سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون » ليست هذه الأفعال هى الأفعال المؤقتة ، بل إنا فوقهم قاهرون . بشكل دائم ، بشكل ثابت ، قال موسى لقومه « استعينوا بالله و اصبروا إن الأرض لله » الكلمة كان لها وقع و كان لها تأثير خاص إذا قيلت أمام فرعون ، قال موسى لقومه « استعينوا بالله و اصبروا إن الأرض لله » ليست لفرعون و لا لبنى إسرائيل ، إذا كان موسى زعيم أمة أو شعب أوقائداً قومياً ، كان له أن يقول إن الأرض لنا ، إن الأرض لبنى إسرائيل ، هذه اللغة التى يحسنها وحدها القوميون ، إن الأرض ليست للانجليز ، إنما هى لأهل الهند ، مصر لأهل مصر ، سوريا لأهل سوريا ، انكلترا لأهل انكلترا ، أمريكا لأهل أمريكا ، يقول أمام فرعون الأرض لله ، ولا يقول إنها أرض الآباء ، مع أنهم سكنوها منذ قرون و لهم حق عليها ، و هم « بلديون » « مواطنون ، لهم حقوق ، كما كانت للاقباط و للأسرة الحاكمة ، قال موسى لقومه « استعينوا بالله و اصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء » ،

www.abulhasanalinadwi.org

و إذا عرفتم و اطمأنتم أنكم إذا ورثتم هـذه الأرض و خرج فرعون ، إنكم ستملكونها إلى آخر الأبد ، إن هذا خلاف لسنة الله تبارك و تعالى و مناف لعدله ، إن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للتقين » ، يعنى هذه الأرض ليست ملكاً لأحد ولا يستطيع شعب أن يحتكرها و أن يتملكها تملكا دائماً ، « والعاقبة للتقين » كما جاء فى سورة يونس : « ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون » (١) .

الشئ الذى يفتت الكبد و يقطع القلب :

و الشئ الثانى الذى هو أدق عندى حين أقبل عليه قومه بنو إسرائيل وقالوا : « أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعـد ما جئتنا » (٢) هذا كان أشد و أنكى من قول فرعون : « سنقتل أبناءهم و نستحى نساءهم ، و إنا فوقهم قاهرون » لم تكن لهـذه الكلمة شدة وثقل على موسى مثل ما كان لقولهم هذا ، لأن موسى عليه الصلاة و السلام بعث لينقذ بنى إسرائيل و يهديهم إلى الله تبارك و تعالى ، و يخلصهم من هـذا العذاب المهين ، و لكنهم

(١) سورة يونس ١٤ .

(٢) الأعراف ١٢٩

www.abulhasanalinadwi.org

كيف كان موقفهم من هذه النعمـــة « قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ما جئتنا » ، و كان ذلك كما حكاه القرآن فى سورة يسين ، « قالوا إنا تطيرنا بك » (١) يعنى كنت شئوما علينا ، الشئ الذى يفتت الكبد و يقطع القلب ، وهو أن القوم الذين يجاهـــــــــــــــــد الانسان فى سبيلهـــم ويتنازل عن كل شئ ، ويجازف بحياته ، يعاملونه بالنكر والكفران و جحود النعمة . إنهم إذا لم يشكروا هذه النعمة و يقدروها ، فكان الأفضل لهـــم أن يسكتوا ، و لـكن ماذا قالوا « قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ما جئتنـــا » معنى ذلك أنهم يتشاءمون بميلاد سيدنا موسى ، ويقولون كنت سبب شقوتنا و بلائنا من قبل أن ترد إلينا ، و كنت سبب شقوتنا وبلائنا بعد ما جئتنا ، و نحن فى عذاب مستمر .

الداعى داع فى كل شئ :

فماذا كان جواب موسى ؟ هنـــا موقف آخر من مواقف الداعى المختار الملهم ، لم يغضب موسى ولم ينفعل ، كأنه لم يسمع هذه الكلمة ، الكلمة الخسيسة التى صدرت من أفواههم و تلقى هذا

(١) يسين ١٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

الكلام الموجع بسكينة الأنبياء و وقارهم ، قال « عسى ربكم أن يهلك عدوكم و يستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون (١) » الداعى داع فى كل شئ حتى أن لو قلت : إنه فى طعامه وشرابه داع ، و فى بيته ومع أهله وبين أبنائه داع ، وفى أفراحه داع ، و فى أحزانه داع ، لكنت صادقاً ، وهكذا نرى فى سيرة الرسول ﷺ أنه كان داعياً فى كل شئ ، فى كل حركة وسكون ، كأنه يقول ذلك باسماً متهلل الوجه ، لم تغيره هذه الكلمة الكنود ، التى صدرت من بنى إسرائيل ، فقال : « عسى ربكم أن يهلك عدوكم و يستخلفكم فى الأرض » و لكن لا تغرنكم أنفسكم مرة ثانية ، و لا تخدعكم نفوسكم ، فأكملها بقوله : « فينظر كيف تعملون » لا أن تتمتعوا بخيراتها كما تتمتع الأقباط ، كما يتمتع فرعون وملاؤه ، لا ، « فينظر كيف تعملون » « إن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء و العاقبة للتقين » ، كما قال الله تبارك و تعالى : « و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون (٢)

---

(١) الأعراف ١٢٩ .

(٢) الأنبياء ١٠٥ .

www.abulhasanalinadwi.org

و هنا الشاهد فى هذه الآية ، كيف يكون موقف الداعى ، كيف تسيطر الدعوة على كل كلمة ، تصدر من لسانه ، و على كل عمل يصدر من أعضائه و جوارحه .

أراد موسى شيئاً ، و أراد الله شيئا :

و الموقف الثانى ، موقف دقيق ، و موقف حرج ، هو الموقف الذى لما خرج سيدنا موسى ببنى إسرائيل لينجوبهم من أرض العذاب ، ومن أرض الذل والهوان ، ومن أرض السخرة الظالمة ، والاضطهاد الفظيع ، إلى بر السلام وإلى شبه جزيرة سيناء التى كانت خارجة عن امبراطورية فرعون ، فلما خرج موسى بهم و قد أراد الله تبارك و تعالى شيئاً و أراد موسى شيئاً ، وأراد بنو إسرائيل شيئا ، وأراد موسى أن ينجو ببنى إسرائيل ، وأراد الله تبارك و تعالى أن يغرق فرعون و جيشه .

قطع موسى طريقه فى ظلام الليل ، فكان هناك قطعة صغيرة كانت تصل بين شبه جزيرة العرب وبر إفريقيا ، أو الحلقة البرية التى كانت تربط بين قارة إفريقيا وقارة آسيا ، و أولها شبه جزيرة سيناء ، و لكن موسى أخطأ الطريق فى ظلام الليل ، و لم يكن هـــذا الخطأ من المصادفات ، بل كان من المقررات ، كان من

www.abulhasanalinadwi.org

المدبرات التى دبرها الله تعالى ، فهنا أخطأ موسى الطريق و توجه إلى البحر بدل أن يتوجه إلى البر ، وكان الطريق قصيراً ، و لكنه أخطأ فى الليل ، و لما أصبح و أسفر الصباح فوجئ بأن البحر أمامه و جيش فرعون وراءه ، قالوا : ما لنا حيلة و صاروا يشكون ، وصاروا يسيئون الظن بموسى على عادتهم ، فقالوا : أنت احتلت لتأتى بنا إلى هذا المكان لنقع فى شبكة فرعون ، ماذا كان غرضك ؟ ، لماذا جئت بنا إلى هنا ؟ ، إنما جئت بنا إلى هنا لكى تكون فريسة فرعون و جيشه ، و اللقمة السائغة ذا الطاغية ، البحر أمامنا والجيش وراءنا ، ماذا نعمل هنا ؟ ، وهنا يتجلى موقف الداعى ، فقد جاء فى سورة الشعراء : « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون (١) ماذا يكون جواب السياسيين ، القوميين فى هذه الحالة ؟ ، لا بد أن يقولوا : نحن قد وضعنا مخططاً دقيقاً مدروساً من قبل ، قد وضعنا مشروعاً كفيلا بالنجاح ، و نحن على هدى ، و نحن على بصيرة ، و أنا مستيقظ وأنا متأكد بأننا سنصل إلى البر بسلام .

كلا إن معى ربى سيهدين :

و لكن ماذا كان جواب موسى الأمين و المؤمن العليم ،

(١) الشعراء ٦١ ،

www.abulhasanalinadwi.org

قال : « كلا إن معى ربى سيهدين (١) » .

قال ذلك بكل ثقة واعتزاز ، و بكل طمأنينة وإيمان ، وكل كلمة فى هذه الآية عامرة بالايمان دافقة بالثقـــة ، ناطقة بالتوكل على الله و اعتماد على قـدرته ، و على أن هذا الاسراء كان بأمر من الله وهو العزيز الرحيم ، الرب الكريم الذى لا يخدع عبده ، و لايخلف وعده ، أذن فلا خوف من البحر الزاخر ، ولا خطر من العدو القاهر .

و مثل هـذا لا يتوقع و لا يعقل من ملك كريم ، و من أب رحيم ، بل من إنسـان ذى مروءة و شرف ، فكيف يتوقع أو يخشى من إله هو أكرم الأكرمين ، و أرحم الراحمين ، إن موسى - على جلال الموقف و دقـة الوضع - لم يساوره خوف و لم يخامره شك ، لأنه كان يعرف - و هو النبي المرسل - إن الله الذى أمره بالاسراء ببنى إسرائيل ، هو غالب على أمره لم يفلت منه زمام الكون حتى يفاجئه أمر لا يمكن التغلب عليه ، إذن فلا مجال للشك ، و لا محل للخوف ، فقال فى قوة و حماس : « كلا إن معى ربى سيهدين »

---

(١) الشعراء ٦٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

قارن بين هذه القصة التى حكاها القرآن عن سيدنا موسى وبين ما حكاه القرآن نفسه عن خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ ، وهو قوله تعالى ، « ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا (١) » واقرأوا فى شرحها واستعراض الواقع الدقيق ما جاء فى الجامع الصحيح للبخارى (٢) ، وفى كتب السيرة ، فقد جاء فيها « بينما هما (رسول الله ﷺ و رفيقه أبو بكر الصديق رضى الله عنه) فى الغار (٣) ، إذ رأى أبو بكر آثار المشركين ، فقال يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا ، قال ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » واستشعروا الشبه العجيب بين نبيين عظيمين ، فرق بينهما المكان و الزمان و البيئه و الملابسات ، و لكن جمعت بينهما النبوة والايمان القوى الوثيق الذى هو سر إيمان ملايين من البشر ، و معرفتهما لقدرة الله تعالى و رحمته و حكمته ، معرفة يمتاز بها الأنبياء ولا يصل إلى قمتها الفلاسفة والحكماء وكبار العلماء والعقلاء ، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

---

(١) التوبة ٤٠

(٢) باب قوله تعالى «ثانى اثنين إذ هما فى الغار» كتاب التفسير.

(٣) غار الثور .

www.abulhasanalinadwi.org

فماذا كان ؟ اقرأوا قول الله تعالى :

« فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، و أزلفنا ثم الآخرين ، و أنجينا موسى و من معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين ، إن فى ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين ، و إن ربك هو العزيز الرحيم (١) »

(١) الشعراء ٦٣ ـ ٦٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

المحاضرة السادسة

دعوة مؤمن ما زال يكتم إيمانه نموذج لدعوة غير نبي

دعوة مؤمن ما زال يكتم إيمانه :

كان الأولى و الأجمل أن نصل الحديث عن سيد الدعاة وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ بالحديث عن الأنبياء السابقين مثل سيدنا إبراهيم ، وسيدنا يوسف ، وسيدنا موسى الذى تحدثنا به بالأمس، و لكن أريد أن أجعل الحديث العبق العطر عن سيد الدعاة ﷺ و عن دعوته التى هى بمثابة سيدة الدعوات مسك الختام ، ونجعل هذه النقطة هى نهاية المطاف فى هذا الطواف العلمى الدعوى القرآنى .

و نقدم الحديث عن مؤمن من آل فرعون ، و قد قلت لكم إن القرآن الكريم لو اقتصر على الحديث عن الأنبياء و المرسلين صلى الله عليهم أجمعين ، لكان لقائل أن يقول هم طراز خاص ، هم غرس الله تبارك وتعالى ، و مهبط الوحى و مدرسة

www.abulhasanalinadwi.org

النبوة ، قد هيأ قلوبهم و نفوسهم حتى ألسنتهم للقيام بأعباء الدعوة فكيف نقيس أنفسنا عليهم ؟ إن هذا لا يشجع على البدء بالدعوة فى مجتمعنا ، لأن الأمثلة التى ضربها القرآن للدعوة إلى الله إنما تدور حول هؤلاء الأنبياء فقط .

هنالك رأيت أن أضم إلى الحديث عن الأنبياء السابقين ، حديثاً عن رجل شرح الله صدره للايمان ، و هداه للاسلام عن طريق نبى عصره ، و هو سيدنا موسى و هـذا هو مؤمن من آل فرعون الذى يتحدث عنه القرآن ، و أتلو عليكم أولا هـذه الآيات التى تتصل بهذا الرجل و بدعوته :

يقول الله تبارك و تعالى حكاية عن فرعون :

« و قال فرعون ذرونى أقتل موسى وليد ع ربه أنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد ، و قال موسى إنى عذت بربى و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله و قد جاءكم بالبينات من ربكم ، و إن يك كاذباً فعليـه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذى يعدكم ، إن الله لا يهدى من هو مسرف كـذاب ، يا قوم لـكم الملك اليوم

www.abulhasanalinadwi.org

ظـاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بـأس الله إن جاءنا ، قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى و ما أهـديكم إلا سبيل الرشاد . و قال الذى آمن يا قوم إنى أخاف عليـكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح و عاد و ثمود ، و الذين من بعدهم ، و ما الله يريد ظلماً للعباد . و يا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، و من يضلل الله فما له من هاد ، ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ، الذين يجـادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبـار ،

حوار فى منتهى البلاغة و الحكمة

و معرفة مداخل النفس :

هـذا هو الحوار الذى دار بين فرعون و بين مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ، و هو حوار فى منتهى البلاغة و الحكمة و معرفة مداخل النفس ، و هو مثال بليغ لحوار يدور بين ملك كبير و ملأ قومه ، و بين هذا الرجل الذى اهتدى و آمن بالله

www.abulhasanalinadwi.org

و إنى كلما قرأت هذا الحوار فى هذه الآيات ملكتنى روعة بيانه و وقفت أمام هذا الحوار خاشعاً مقدراً ، متذوقاً لهذه الحكمة البليغة و لهذا الذوق الرفيع ، و لهذه المعرفة الدقيقة بمكامن النفس ومداخلها والعمل بقول الله تعالى : « وأتوا البيوت من أبوابها (١) » ، رجل لانعرف عنه شيئاً ، ماذا كان مستوى ثقافته ، وأين نشأ و تربى ، و كيف تلقى هذه الدروس ، و كيف وصل إلى هذه الذورة من الحكمة و البلاغة ، و لكنه الايمان الذى يصنع العجائب ، الايمان الذى يجعل من الأبكم ناطقاً ، و من الأصم سامعاً ، و من المشلول ماشياً بل ساعياً ، و من الأعزل محارباً .

« الاستراتيجية » الحاكمية الملكية :

قال فرعون : « ذرونى أقتل موسى و ليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد » و هذه هى الاستراتيجية الحاكمة الملكية التى استخدمها جميع الملوك و القادة السياسيون ، لاستفزاز النخوة فى النفس الانسانية ، وقد جمع ذلك بين النقطتين ، نقطة تتصل بالعقيدة ، و العقيدة محترمة عند كل ملة و عند كل جيل ، كانت عقيدة فاسدة أو عقيدة صالحة ،

(١) البقرة ١٨٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

عقيدة تستند إلى وحى و رسالة أو عقيدة تنبع من قـــلة العقل و السفاهة والطيش ، ولكنها محترمة فى كل ملة و فى كل عصر ، واعتاد الناس أن يدافعوا عنها و يثوروا لها ، فقال : « إنى أخاف أن يبدل دينكم » .

ثم قال : « أو أن يظهر فى الأرض الفساد » فاذا كان أحد فى بلاطه و فى ملائه لايملك قوة العقيدة ، فانه استعان بشئ آخر و هو التخويف من نشر الفوضى والقلق وارتفاع الأمن وانتشار الاضطراب فى المملكة ، وهذا الذى يخافه كل من كان محباً لبلاده أو لوطنه ، فقال : « أو أن يظهر فى الأرض الفساد » وقال موسى « إنى عذت بربى و ربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب » هذا كلام موسى ، إنه سمع كلمة فرعون التى كانت تتدفق بالكبرياء و بالتبجح و بالصلف ، فقد قال فرعون فى مناسبة : يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون » (١) لما صدرت هذه الكلمـــة المتكبرة من فم فرعون ، قال موسى : « إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب »

---

(١) الزخرف ٥١ .

www.abulhasanalinadwi.org

كلمـــــة رقيقة رفيقة تثير الشرارة
الأخيرة من العدل و قوة المقارنة :

هنالك قام رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ، قد ثار فيه الايمان ، وثار فيه الشعور بالكرامة الانسانية ، والشعور باحترام حسن المرامى و المقاصد ، و قال : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » هذه كلمة استعطاف وهذه كلمة تدعو إلى التأمل ، ما ذنب هـذا الرجل ؟ « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » ليس له ذنب إلا أنه يقول : ربى الله ، فاذا قال أحـد « ربى فرعون » لاتقتلونه ، و إذا قال فرعون بنفسه « أنا ربكم الأعلى » لا يستحق القتل ؟ اين العدل يا جماعة ؟ ألا تعقلون ، رجل ينسب الربوبية إلى من أخرجه من العدم إلى الوجود ، نقله من طور إلى طور ، خلقه ورباه ، وأنشأه وغذاه ، وأطعمه وسقاه ، وحفظه ووقاه ، فاذا عزا هذا الرجل هذه الربوبية المطلقة المحيطة إلى صاحبها ، و إلى مصـدرها أنتم تريدون أن تقتلوه ، أما الذى ينسب الربوبية وإلى غير محلها ، إلى من لا يستحقها ، إلى من هو مربوب ألف مرة ، مربوب منذ نشأته ، منذ كان رمجاً فى صلب أبيه وجنيناً فى بطن أمه ، فكان موضع العناية الكريمة والربوبية الرحيمة ، فما هذا

www.abulhasanalinadwi.org

الجور ، ما هذا الظلم ؟ ، فهذه كلمة رقيقة تثير البقية الباقية والشرارة الأخيرة من العدل و من قوة المقارنة التي فطر عليها الانسان ، المقارنة بين الفاضل و المفضول ، المقارنة بين الخالص و الزائف ، المقارنة بين المالك و المغتصب ، إنه أراد أن يحرك هذه القوة الكامنة فى نفوس كل هؤلاء الذين كانوا يشهدون هذا المشهد وقال « أتقتلون رجلان أن يقول ربى الله » .

الاحتجاج بالمشهود المعهود

على الهدف المطلوب المنشود :

ثم دعم كلامه و احتجاجه بقوله : « و قد جاءكم بالبينات من ربكم » ، هذا احتجاج بالمشهود المعاين ، لأن موسى عليه الصلاة و السلام قد جاء بالمعجزات الباهرة « ألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ، و أخرج يده فاذا هى بيضاء للناظرين » هذه كلها مشاهدات لايمارى فيها الانسان ، إنه يمارى فى أشياء منطقية ليس لها وجود إلا فى الذهن ، يمارى فى أشياء عقلية على مستوى عال من العقل ، و لكنه لا يستطيع أن يمارى فى المشاهد المحسوس ، فقال : « وقد جاءكم بالبينات من ربكم » ، ثم إنه لجأ إلى طريقة نفسية رقيقة ، يستطيع كل إنسان أن يفهمها ، ويستطيع

www.abulhasanalinadwi.org

أن ينصف لها و يتخير الطريق الأقوم الأسلم ، و قـــد خاطبهم باللغة التي يفهمونها فقال : « وإن يك كاذباً فعليه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ، إن الله لايهدي من هو مسرف كذاب » ، قال يا قوم لا تورطوا أنفسكم في مشكلة لا مخرج منها . تأملوا في هـــذا الرجل الذي يدعي أنه نبي مرسل من الله و أنه قد جاء من السماء . لكم طريقان : إما أن تبطشوا تنكلوا به و تنتقموا منه ، و فيه خطر ، إذا كان صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ، أما ـ أعاذه الله تبارك وتعالى من ذالك ـ إذا كان كاذباً فلا حاجة لكم فيــــــــــــــــــــــــــــــه ، إن كذبه هو كفيل بهلاكه ، و بانطفاء سراجه ، إن يك كاذباً فعليه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ، إن يك كاذباً فلستم مسئولين عنه .

الاحتجاج بسنة الله التي لا تتغير :

ثم إنه استعان بشئ ثالث ، و هو الاحتجاج بسنة الله التي لا تتغير و لا تحابي أحـــداً فيقول « يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض » ، إخواني ! لا يغركم هذا الملك العريض و هذا الجاه الكبير ، و هذه المملكة الواسعة الأطراف ، وهذه

www.abulhasanalinadwi.org

الوسائل الوفيرة ، وهذه الثروة الهائلة ، ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ، لاشك أنكم ظاهرون لاشك أن لكم السلطة النهائية ، السلطة العليا ، لاشك أنكم أصحاب حول وطول ، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ، هنالك لفت هذا الداعي الكبير نظرهم إلى سنة الله التي لاتتغير فيقول : «من ينصرنا من بأس الله إن جاءنا » إنكم تعتقدون ، أنتم الأعلون ، ولا شئ أعلى منكم ، و لا شئ فوق رؤسكم ، فأنتم المنتـــهى في كل شئ ، المنتهى في القوة ، المنتهى في السلطة ، في الأمر و النهي ، و لكن هنالك قوة أخرى تؤمنون بها كحقيقـــة ، لكنكم تشركون في بعض صفاتها ، قال فرعون : « ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد » لاحجة في ذلك ما أريكم إلا ما أرى ، هذا استسلام في الحقيقة ، كان فرعون يحتاج إلى دليل من الصحف السماوية ، أو إلى دليل منطقي مثلا ، ولكنـه يقول و كأنه يعترف بعجزه « قال ما أريكم إلا ما أرى » هذا ليس بدليل ، هذا يقوله كل غاو ، و كل جاهل ، و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد » هذا مجرد الدعوى لا بينة معها ، « ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد »

www.abulhasanalinadwi.org

الاعتبار بالتاريخ و مصير الأمم البائدة :

و هنالك قاطعة المؤمن و ثنى على قوله ، و قال : « إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح و عاد وثمود و الذين من بعدهم ، وما الله يريد ظلماً للعباد » (١) ، يظهر أن فرعون و ملاءه كانوا يعرفون عاقبة هذه الأمم ، و كان عندهم شئ من علم بتاريخ هذه الأمم التى كانت بعد عاد وثمود « والذين من بعدهم و ما الله يريد ظلماً للعباد » .

التحذير من الآخرة :

ثم يقول : « يا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد » يعنى عليكم أن تعتبروا إذا بقى ملك لا يحول ولا يزول ، فكان الواجب أن يبقى ملك عاد و ثمود ، فاذا لم يبق ملك عاد و ثمود فلا ضمان لملككم ، كيف تعتقدون أن ملككم هو الذى سيبقى ويدوم ، وملك هؤلاء قد انقرض وطوى بساطه ، ماهو الفارق بين ملككم وملكهم ؟ إذا كان هنالك الفارق الايمانى ، إذا كان هنالك فارق من الأخلاق ، إذا كان هنالك فارق من الرشاد و الهداية ، فأنتم لا تتصفون به و لا تدعونه ، و حياتكم تدل على أنكم تهجون نهجهم و أنكم

(١) المؤمن ٣٠ - ٣١ .

www.abulhasanalinadwi.org

تسيرون على دربهم فاذا انقرض عاد وثمود والذين من بعدهم فأنتم كذلك إلى الانقراض ، وستسيرون إلى ما ساروا إليه ؛ ما هو الخط الفاصل بينكم و بينه ؟ .

ثم يقول : « و ياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد » يوم ينادى بعضهم بعضاً ، وكان هذا قد ألفه ملأ فرعون كلهم ، فكانت عندهم أعياد وكانت عندهم مواكب، وكانت عندهم خرجات يخرجون فيها، وكانت هنالك غوغاء و صخب ، كانوا يعرفون ماذا يقع هنا ، فقال : «يوم التناد ، يوم تولون مدبرين » هذا الذى يشعر فرعون بوقعه فى نفسه ، لأن أكره الشئ إليه هو الانهزام ،كان لا يتصوره لأنه كانت له جيوش جرارة كثيفة ، و لم يعرف الهزيمة ، فهذه الكلمة يعرف معناها ويعرف وقعها فى نفسه ، « يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد » .

إثارة نقطة جديدة حكيمة :

ثم إن هذا المؤمن الداعى الحكيم هو أثار نقطة جديدة ، نقطة حكيمة ، وهو أشار إلى علة الطبيعة البشرية وداء من أدواء المجتمع البشرى القديم ، و هو عدم تقدير النعمة فى محلها ، و فى وقتها ، هذه علة قديمة فى الطبيعة البشرية ، إن الانسان يستهين بالمعاصر

www.abulhasanalinadwi.org

و يستخف بقيمته و يتناساه ما دام هو يعاصره و يعيش معه ، فانه لا يقيم له وزناً ، هذه علة من علل الطبيعة البشرية التى حفظها تاريخها و أدبها وشعرها وقصصها و حكاياتها و أساطيرها ، الاستهانة بالحاضر و الاجلال للماضى ، التنكر للمعاصر و التجهم له و إنكار لفضله ، و الاعتراف و الخضوع للماضى ، كلما مضى رجل قالوا لم يكن مثله و لن يكون مثله ، أما ما دام حياً فهو بشر و نحن بشر ، فاذا انتقل من هذا العالم وفارق الحياة فهنالك مدائح سخية و قصائد رنانة ، و هنالك مبالغات و تهويل ، هى الطبيعة التى حرمت الأجيال البشرية والمجتمعات الانسانية الانتفاع بأفضل ثمارها و أفضل أفرادها فى حياتهم ، وقد حذرهم من هذا النكد وإنكار الفضل، فقال : « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا » (١) إن يوسف كان نسيج وحده وقريع دهره ، ومن أين يأتى مثل يوسف ؟ هذا الكريم بن الكريم بن الكريم ، الملك العادل الرحيم ، لا أبداً ، ما دام حياً فكل الناس كانوا يعيبونه وينسبون إليه الأشياء ، فيقول : إياكم أن تعودوا إلى مثل

---

(١) المؤمن ٣٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

هذه المحنة ، فلاتقدرون قدر موسى ، حتى إذا أذن الله له بالرحيل و انتقل من هذا العالم ، كأنى بكم تقولون : إن موسى كان منحة من الله تبارك و تعالى وما سبقه رسول مثله و لا يأتى بعده مثله ، و أنا أحذركم من هذا « و لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا » .

سمة فرعون الرئيسية التى
حالت بينه و بين الحق :

تأملوا فى كلمة « لن يبعث الله من بعده رسولا » إنا لا نصدق أنه سيأتى نبى بعد يوسف يكون مثله « كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ، الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا . كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » و فى الحقيقة أن مصدر هذا الحرمان و الكفران و مصدر هذا العناد و المكابرة هو التكبر ، يخاطبهم مثل سيدنا موسى فى مكانته و فى سموه و فى قوة دعوته التى أثرت فى سحرة فرعون فنقلتهم من معسكر فرعون إلى معسكر الدعاة إلى الله ، إلى معسكر الشهداء فى سبيل الله ، كأنهم

www.abulhasanalinadwi.org

نشأوا فى أحضان النبوة مدة طويلة ، و لكن عهدهم كان قريباً من سيدنا موسى و دعوته ، و لكن سيدنا موسى هو الذى شق صخور قلوبهم وأنبت فيهم الايمان ، فخرجوا من هذا المعسكر الفرعونى و هم يقولون : « فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا » ، و إنا مستعدون لنيل هذه العقوبات كلها .

يخاطبهم و يدعوهم إلى الله ، و لكن فرعون لم يتأثر ، لماذا ؟ السمة التى يتسم بها فرعون ، و هى السمة الرئيسية ، هو التكبر ، فيريد القرآن أن يركز عقولنا و تأملاتنا على نقطة هامة جداً ، و هى التكبر ، و هذه الكلمة قد تكررت فى هذه الآيات مراراً : « و قال موسى إنى عذت بربى و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » .

النقطة التى يلتقى عليها سيدنا موسى فى دعوته
و مؤمن من آل فرعون فى موعظته :

ثم يقول : « كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ، الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم » ، ففتاح القصة و مفتاح شخصية فرعون و مفتاح هذه القصة هو التكبر ، التكبر هو الذى حال بين فرعون و بين الانتفاع بدعوة سيدنا موسى ، و كان سيدنا

www.abulhasanalinadwi.org

موسى قوى الشعور بهذه النقطة و كان مؤمن من آل فرعون كذلك قوى الشعور بهذه النقطة ، النقطة التى يلتقى عليها سيدنا موسى فى دعوته و مؤمن من آل فرعون فى موعظته ، هى نقطة النعى على التكبر و التركيز عليها ، كل يشير إلى هذه النقطة ، هذه النقطة الفارقة التى تحول بين فرعون و ملائه و بين الانتفاع و الاهتداء بالهدى الذى جاء به سيدنا موسى .

الضرب على الوتر الحساس :

و قد جاء فى هذا الحوار التنبيه على تفاهة الدنيا و عدم ثباتها و بقاء الآخرة و دوامها « و قال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع و إن الآخرة هى دار القرار (١) » إن أكبر حجاب كان لفرعون هو الملك العريض الذى كان يتباهى و يتبجح به فيقول إن هذه الحياة الدنيا متاع ، و إن الآخرة هى دار القرار ، فضرب على الوتر الحساس ، ثم ذكر قانون المجازاة العادل الذى لا يحابى أحداً ، فقال « من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها و من عمل صالحاً من ذكر أو

(١) المؤمن ٣٨ ، ٣٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

أنثى و هو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب (١)

الدعوة إلى معرفة المخلص النافع من الغاش الخـــــــادع :

ثم هنا كذلك يثير نقطة خاصة . وهى عاقبة عدم التمييز بين النافع و الضار ، وبين المخلص النافع و الغاش الخادع ، فيقول : « يا قوم ما لى ادعوكم إلى النجاة و تدعونى إلى النار ، تدعونى لأكفر بالله و أشرك به ما ليس لى به علم و أنا ادعوكم إلى العزيز الغفار (٢) » ، و يقول قارنوا بين الدعوة التى أقوم بها و بين الدعوة التى يقوم بها فرعون ، أنا أدعوكم إلى سبيل النجاة . أنا أدعوكم إلى الله الرحيم الغفار ، و هو يدعوكم إلى نفسه وإلى طريق الهلاك و البوار ، ثم يقول : « لا جرم إنما تدعونى إليه ليس له دعوة فى الدنيـا و لا فى الآخرة و أن مردنا إلى الله و أن المسرفين هم أصحاب النار (٣) » هنالك نبـه هـذا الداعى الكريم على أن دعوة فرعون هى دعوة طفيلية ، وكل دعوات الجاهلية هى دعوات

(١) المؤمن ٤٠ .
(٢) المؤمن ٤١ ، ٤٢ .
(٣) المؤمن ٤٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

طفيلية غير مقصودة ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وهى لا تستند إلى عقل ولا إلى علم و لا إلى دعوات الأنبياء ، تنبت على سطح الأرض « كالحشائش الشيطانية » التى تنبت فى الحقول و المزارع « لاجرم أنما تدعونى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة » هل عندكم من سلطان ، هل عندكم من برهان ؟ ، لا ، إنما هى التى تريدها أهواؤكم و مصالحكم فقط .

الخط الذى ينتهى إليه كل داع مخلص :

ثم أخيراً جاء بكلمة فيها الرقة ، و فيها التفويض إلى الله ، و فيها الرحمة ، و فيها المجهود الأخير ، و هو القول الذى يلجأ إليه كل داع مخلص ، لاشئ وراء ذلك ، وهو قوله : « فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله ، إن الله بصير بالعباد (١)

و هذه خير نهاية لموعظة و لدعوة إذا لم ينتفع بها ، فهذا هو الخط الذى ينتهى إليه الداعى .

هذا حوار فريد فى أسلوبه ، وهذا هو الحوار الذى حفظه القرآن و خلده فى أسلوبه الحكيم و بلاغته ، وفى ترتيبه ، و فى الانتقال من نقطة إلى نقطـــة ، و فى خير بداية و خير نهاية ،

(١) أيضاً ٤٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

هذا الحوار الذى يجب أن يكون نبراسنا فى توجيه الدعوات و فى القيام بأعبائها و فى الايفاء بحقوقها ، إذا واجهنا قوة جبارة .

فهذا مثل أردت أن أضمه إلى أمثلة الدعوات النبوية التى هى النقطة الأخيرة التى يصل إليها الداعى ، و هذا نموذج من دعوة رجل لم يكن نبياً و لم يكن من أخص أشخاص سيدنا موسى ، لا يدل القرآن على هذا بل يصفه بقوله : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » فنستطيع أن نتعلم منه كثيراً و نتلقى منه دروساً ذات قيمة كبيرة فى منهج الدعوة .

www.abulhasanalinadwi.org

المحاضرة السابعة

نموذجان من دعوة خاتم الرسل وحكمته

النموذج الأول من دعوته ﷺ على جبل الصفا :

نبدأ و نتخير من هذه المواقف الدعوية الجليلة الرائعة التى هى كلها معجزات ، لسيد المرسلين و خاتم النبين ﷺ ، موقفه ﷺ - هو موقف الأول كداع - على جبل الصفا ، وهو النموذج الأول من دعوته ﷺ ، و أريد أن تستحضروا الجو الذى بدأ فيه رسول الله ﷺ دعوته وتعيشوا تلك المشكلة التى كانت تكتنف هذه الدعوة إلى الله تبارك و تعالى و إلى التوحيد و نبذ الشرك و الوثنية و الحياة الجاهلية التى كانوا يحيونها ، و أرجو أن تنتقلوا بعقولكم و تصوراتكم - إن لم تستطيعوا أن تنتقلوا بنفوسكم وبأجسادكم - إلى تلك البيئة التى قام فيها رسول الله ﷺ منذراً و مبشراً و مبلغاً لرسالات ربه .

www.abulhasanalinadwi.org

النبوة هى القنطرة الوحيدة بين عالم الحس وعالم الغيب :

إن الذى كان يريد رسول الله ﷺ أن يقوله لقريش أولا ، و للعرب ثانياً ، و لأهل عصره ثالثاً ، وللعالمين و للجيل البشرى كله رابعاً و أخيراً ، إنما كان ذلك يعتمد على شيئين ، على وجود عالم آخر غير هذا العالم المادى الحسى ، الذى كانوا فيـــه ، عالم لا يشاهـــــد و لا يقع تحت سيطرة الحواس الخمس التى كانوا يملكونها ، ثم كان يعتمد ثانياً على وجود النبوة ، لأن النبوة هى القنطرة الوحيدة بين عالم الحس الذى نعيشه و بين عالم الغيب ، كل جسر - يصل بينهما - مكسور مهدم ، وكل قارب ينقل المسافرين إليه غائب مفقود ، هذا عالم - كما قلت لكم - ليس للحواس الخمس و للعقل الذى يتأسس على هذه الحواس الخمس إليه سبيل .

متى يؤدى العقل دوره ؟ :

فالعقل انما يعتمد على الحواس الخمس ، فكل ما تقدمه إليه الحواس الخمس ، من محسوساتها ومحصولاتها ، ومن النتائج التى توصلت إليه ، يستخرج منها العقل نتائج خطيرة ، هذا هو شأن العقل ، إنما يقوم بناؤه على ركام تقدمه إليه الحواس الخمس البشرية ، وحيث

www.abulhasanalinadwi.org

تتعطل هذه الحواس ، يتعطل العقل ، فوظيفة العقل تنحصر فى أنه يستخرج من هذه المعلومات التى تقدمها الحواس ، و يتوصل من هذه المقدمات إلى نتائج كبيرة ، فحيث لا مقـدمات لا نتائج ، و حيث لا محسوسات لا معقولات ، هذه هى النقطة الحاسمة فى تاريخ الفلسفة و العقل الانسانى ، التى أغفلها كثير من الفلاسفة و كثير من مدعى العقل ، إنهم بحثوا العقل كأنه شئ مستقل ، و كأنه يعمل بنفسه و يشق طريقه بنفســه . ولكن ليس ذلك بصحيح ، فالبحوث الأخيرة التى تهيأت الآن فى نطاق الفلسفــة ، أثبتت أن العقل عاجز حيث لا يوجد عمل الحواس ، هنالك يقف العقل حائراً مدهوشاً لا شغل له .

بعد أهل العرب عن النبوات
شكل مشكلـــــة كبرى :

فالمشكلة الرئيسية أن أهل العرب بصفة عامة وأهل مكة بصفة خاصة ، كانوا بعيدى العهد بالنبوات و بتصورهم لعالم الغيب ، فقد غابت هــذه القنطرة التى كانت تصل بين عالم الغيب و بين عالم الحس ، فلما فقدت هذه القنطرة أصبحوا يجهلون عالم الغيب جهلا كلياً ، لذلك يقول القرآن فى أسلوبه المعجز الموجز : « لتنذر قوماً

www.abulhasanalinadwi.org

ما أنذر آباؤهم فهم غافلون (١) » ، ويقول : « بل دارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون (٢) » ، ويقول الله تبارك وتعالى في سورة يونس : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لما يأتهم تأويله (٣) »

المشكلة أن رسول الله ﷺ أراد أن يخاطب

قوماً لم يتعلموا « حروف الهجاء » من الدين :

فالمشكلة الرئيسية أن رسول الله ﷺ أراد أن يوجه دعوته إلى قوم ليس عندهم مفاهيم و تصورات دينيـــة بدائية ، كأنه ما عندهم مفاتيح العلم ، خذوا أكبر ذكي أو عبقري فوق العادة ، وهو لا يعرف حروف الهجاء للغة ،أو خذوا أحد كبار الأساتذة في جامعة كامبردج أو في مختبر من مختبرات أمريكا التي اكتشفت الطاقة الذرية ، و هو لا يعرف « العربية » و قولوا له : عندك يوم بكامله ، تطالع هذه الصحيفة وتقرؤها لنا في المساء ، ولا يجد أحداً يساعده في ذلك و يعلمه حروف الهجاء : ألف ، با ، تا ، ثا ، جيم ، إنه لا يستطيع أن يقرأ سطراً واحـــداً لأنه ما تعلم حروف الهجاء ، و هكذا نسبة المحسوســـات إلى المعقولات ،

(١) يس ٦ ، (٢) النمل ٦٦ . (٣) يونس ٣٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

المحسوسات أمام المعقولات كحروف الهجاء للغة المشكلة ، إن الرسول ﷺ أراد أن يخاطب قوماً لم يتعلموا حروف الهجاء ، إن عقولهم الضيقة التى نشأت فى هذا المحيط المحدود ما كانت تسيغ النبوة ، فيجب أن تسيغ النبوة أولا ثم يتقدم الرسول عليه السلام خطوة أخرى .

الأنبياء يكونون من التافه الموجود

الشئ العظيم المفقود :

عاشت الأمة العربية و سكان هذا الوادى بصفة خاصة مدة طويلة بعيدة عن المفاهيم الدقيقة و المصطلحات العلمية و البحوث اللاهوتية ، و لكنها فاقت وتميزت بسلامة فهمها و سرعة إدراكها و حبها و خضوعها للواقع ، و على ذلك اعتمد الرسول ﷺ فى شرح مركز « النبوة » و « النبى » فى هذه الحياة ، و تبرير حقه فى الانذار و الانباء ، و مخالفة المألوف المعروف المشاهد بالعيان ، و الاخبار بما لا يراه الانسان ، فكان أبلغ من ألف دليل يستند إليه أئمة الكلام و أئمة اللاهوت ، و كانت جميع المراحل التى اجتاز بها الرسول الأعظم ﷺ و جميع الوسائل التى اتخذها و استخدمها فى هذه المهمة المقدسة الدقيقة ، مطابقة للطبيعة

www.abulhasanalinadwi.org

و البيئة ، و هكذا الأنبياء لا يلتجئون ـ فى أداء مهمتهم و تبليغ رسالتهم ـ إلى الصناعة والتكلف ، والاستعارة والاستيراد ، ويكونون من التافه الموجود ، الشئ العظيم المفقود .

كان الرسول عربياً يعرف عادات العرب :

و لم يكن ذلك عصر الصحافة و الاذاعة ، و عصر آلات نشر الصوت و تضخيمه ، فما هو السبيل إلى حشر سكان الوادى إلى مكان مخصوص فى زمن مخصوص ، و ما هو السبيل إلى السيطرة على عقولهم و نفوسهم حتى ينفضوا أيديهم من أشغالهم ، و ملذاتهم ، و يخفوا إلى مكانه فزعين مسرعين ؟ ، كان الرسول ﷺ عربياً ، يعرف عادات العرب وتقاليدهم وشعاراتهم وتأثيرها فى نفوسهم و مجتمعهم ، و استعان بذلك فى سبيل هذه الغاية التى لا غاية أفضل منها ، اعتاد العرب إذا أحس أحد منهم بخطر ، و بعدو يريد أن يفاجئ و يأخذ القوم على غرتهم ، أو بعدو كامن قاعد بالمرصاد قد غفل عنه أهل البلاد ، أن يرتقى أحدهم قمة جبل أو ربوة و يصرخ بأعلى صوته : « يا صباحاه » ! أو « وا صباحاه » فيفزع القوم و يأخذون عدتهم و يخرجون على بكرة أبيهم لمواجهة الخطر الداهم و العدو المهاجم .

www.abulhasanalinadwi.org

ما هو هذا الخطر الذى كان يقلق مضاجعهم و يحول بينهم و بين راحاتهم و لذاتهم ، وما مدى تأثيره و ضرره فى حياتهم ، النوع الوحيد من الخطر الذى كانوا يعرفونه هو العـــدو فقط ، يقتل منهم كثيراً وينهب أموالهم و يستاق ابلهم و ماشيتهم ويلحق بهم الأضرار .

العدو الذى يعيش فى « الداخل »

أضر وأفتك من كل عدو فى الخارج :

هانت هذه الأخطار والأضرار - على ضخامتها و واقعيتها - فى عيون الأنبياء والرسل ، إنهم عرفوا أن أكبر خطر هو الجهل بصانع هذا الكون و مدبره و صفاته الحقيقية و حقوقه ، وخطر الحياة الجاهلية التى كان يعيشها أهل ذلك العصر و سكان هـــذا الوادى و الأخلاق التى اتسم بها هذا المجتمع الجاهلى (يعبدون الأصنام و يأكلون الميتة ، و يأتون الفواحش و يقطعون الأرحام ويسيئون الجوار ويأكل القوى منهم الضعيف) (١) ، رأى النبى ﷺ هذا العدو الذى يعيش فى نفوسهم و فى عقائدهم و أخلاقهم (ليس فى الخـــارج) و كان فى نظره - ﷺ - أضر وأفتك

(١) من حديث جعفر بن أبى طالب فى مجلس النجاشى ملك الحبشة .

www.abulhasanalinadwi.org

من كل عدو فى الخارج ، إن هذا الخطر ـ الذى نبع و انبثق من داخلهم ـ أعظم من كل خطر عرفوه فى كل حياتهم الجاهليـــة الطويلة ، و فى مجتمعهم العربى القبلى . و إن عداوة نفوسهم أشد و أدق من عداوة كل قبيلة منافسة ، و من كل جيش محارب ، و أن أسلوب حياتهم يثير سخط الله القادر القاهر الذى لا يرضى لعباده الكفر و لا يحب فى الأرض الفساد .

أصدق صوت فى أصدق مناسبة :

فخرج رسول الله ﷺ وصعد على جبل الصفـــا ـ و هو أقرب الجبال إليهم ـ و نادى بأعلى صوته « يا صباحاه » ، و قد شهد هذا الوادى بأنه كان أصدق صوت فى أصدق مناسبة ، لأن مثل هذه المناسبات لم يكن من العادة أن يكذب الانســـان فيها ـ بخلاف هذه المدنية المزورة ـ وقد سمع أهل مكة صيحة معروفة مألوفة تخرج من فم أصدق رجل عرفوه فى بلدهم ، سموه بأنفسهم « الصادق الأمين » و فهموا معناها و مطالبها ، و أمامهم سلسلة طويلة من التجارب و الحوادث ، ولم يتأخروا فى تلبية هذا النداء كما جاء فى كتب السيرة ، فاجتمع الناس بين رجل يجئ إليه وبين رجل يبعث إليه رسوله .

www.abulhasanalinadwi.org

كان العرب عقلاء منصفين ، شجعانا صادقين :

فقال رسول ﷺ حين اجتمعوا ، يا بنى عبـــد المطلب ، يا بنى كعب ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ ، كان القوم الذين خاطبهم الرسول العربى ﷺ ووجه إليهم هذا السؤال ، أميين غير مثقفين ، لم يدرسوا الفلسفة و علم المنطق و لم يألفوا التعمق و التدقيق ، و لكنهم كما قلت ـ كانوا واقعيين عمليين ، رزقهم الله النصيب الأوفر من سلامة الفهم وسرعة الادراك ، و استعرضوا الواقع و استعرضوا المحيط الذى وقف فيه هـذا الخطيب النذير ، و استعرضوا وضعه الطبيعى ، رأوا رجلا جربوا عليه الصدق ، و الأمانة و النصيحة وحب الخير ، قد وقف على جبل يرى ما أمامه ، وهو الذى اشترك فيه مخاطبوه ، وينظر إلى ما وراء الجبل و السفح المقابل ، وهذا الذى لا يشترك فيه مخاطبوه ، فعرفوا من غير شك وتأمل طويل ، أن له الحق أن يتحدث عما فى سفح الجبل المقابل من عدو رابض و خطر كامن ، وليس لهم حق ـ وقد حال الجبل بينهم وبين السفح المقابل ـ أن يكذبوه وينفوا رؤيته على أساس أنهم لا يشاركونه فى هذه المشاهدة ، فقد فرق الجبل القـائم بين وضعهم و وضع

www.abulhasanalinadwi.org

الخطيب النذير ، و أعطاه من فرصة المشاهدة و حق الشهادة ما لم يعطهم ، وكانوا عقلاء منصفين ، شجعانا صادقين ، فقالوا نعم ، إنك إذا قلت أن وراء الجبل خيلا تريد أن تغير في الليل أو تغير على غرة منا صدقنا .

الأنبياء يقفون على قمة جبل من النبوة ،

يطلون منها على دنيا الحس ودنيا الغيب :

وقد نجح رسول ﷺ بحكمة النبوة التى خصه الله بها وبلاغته العربية التى أكرمه الله بها ، وقد صور لهم مركز النبوة والأنبياء الفريد الدقيق و وضعهم الشاذ ، الذى يستطيعون به أن يشاهدوا ما لا يشاهده أقرانهم و أبناء جنسهم و عصرهم ، و يشهدوا بما لا يشهد به المصلحون و الزعماء عادة ، فقد وقفوا على قمة جبل من النبوة ، يطلون منها على الجانبين ، الجانب الحسى بحكم البشرية ، و الاتصال بعالم الغيب تحت الارادة الالهية ، و بحكم النبوة التى يكرمهم الله بها « إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى » (١) ، وليس لأذكى إنسان و أعظم عالم و أكبر عاقل أن يكذبهم و ينفى مشاهدتهم على أساس أنه لا يشاركهم فى هذه المشاهدة و لا يرى

(١) الكهف ١١٠

www.abulhasanalinadwi.org

ما يرونه، مثل بسيط جدا : أنا واقف أمام هذا الشباك ، و أنتم وجوهكم إلى هذا الجانب ، وأنا أقول الله أكبر ! قد سقط فلان أو خرج فلان ، فهل يجوز لكم أن تكذبونى و أن تنفوا وتقولوا لا ؟ هذا لا يمكن ، هذا غير معقول ، كلكم تعرفون أنكم مدبرون لهذا الجانب ، و مقبلون إلى ذاك الجانب ، و أنا مقبل إلى هذا الجانب و مدبر إلى ذاك الجانب ، فأنا لى حق الشهادة و حق الاخبار بشئ لا ترونه أنتم ، شئ بسيط ، و معقول و يومى ، و ليس لأذكى إنسان أن يكذبه ، ربما يكون منكم أحد أبصر منى ، و أعقل منى ، و لكن رغم هذه الحدة فى البصر لا يجوز له أن يكذب ما أرى .

كذلك ليس لأذكى إنسان و أعظم عالم و أكبر عاقل أن يكذب الأنبياء وينفى مشاهدتهم على أساس أنه لا يشاركهم فى هذه المشاهدة ولا يرى ما يرونه ، كما لا يجوز لمن وقف فى سفح الجبل أن يكذب من قام على قمته و أخبر بما وراء الجبل و تحدث عما وراء الأكمة (١) .

---

(١) من تعبيرات العرب « من وراء الأكمة » ، و الأكمة : التل .

www.abulhasanalinadwi.org

مكابرة الفلاسفة و الحكماء :

فاذا حاجهم و خاصمهم أسير لحسه قالوا محتجين مستغربين : « أتحاجونى فى الله و قد هدان (١) » ، و كان العرب الأميون أعقل - فى هذه المرحلة البدائية - من الفلاسفة و الحكماء الذين كذبوا أخبار الرسل و شكوا فى الحقائق التى جاؤا بها على أساس عدم مشاهدتهم و اطلاعهم « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لما يأتهم تأويله (٢) » ،

القضية هو الايمان بوجود عالم لايرى :

و لما تمت هذه المرحلة التى كان لا بد منها ، تقدم الرسول ﷺ خطوة ثانية ودخل المرحلة الثانية النهائية ، فقال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد (٣) » .

كان لهم أن يقولوا من أين رأيت هذا العذاب ، بأى شئ تنذرنا ، و لكنه أولا وقف على قمة الجبل ، ثم سألهم هل إذا أخبرتكم بأن «مالك خيلا تريد أن تغير عليكم هل أنتم مصدقى ، قالوا : نعم ، هناك قال « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » ، لأن النبى

(٢) الأنعام ٨٠ (٢) يونس ٣٩

(٣) البداية و النهايه لابن كثير ج ٣ ص ٣٨

www.abulhasanalinadwi.org

عليه الصلاة و السلام كان يرى هذا الجانب الخلفي للجبل و هو عالم الغيب بالنسبة إليهم و يرى الجانب الأمامى ، فكان يجمع بين هذين العالمين ، العالم الغيبي المؤقت المجلى بالنسبة إليهم ، والعالم الحسى المشهود الممتد أمامهم ، حتى إذا وقفوا فى سفح هذا الجبل لم يروا ذلك العالم الذى يراه الرسول ، فهنالك عالم وراء عالم ، فى الحقيقة القضية هو الايمان بوجود عالم لا يرى ، فاذا تحقق الايمان بامكان وجود عالم مهما كان بسيطا ، فتح الطرق . لأنه إذا ثبت عالم واحد يمكن أن يثبت ألف عالم ، فالشئ الذى يضغط عليه صاحب الحجة هو الايمان بامكان وجود عالم أو حقائق لا تأتى تحت الحس و لا تبصر ، فاذا آمن إنسان بوجود حقيقة واحدة غيبية فهو مكلف بالايمان بوجود ألف حقيقة .

الخطر الحقيقى الذى تناساه أهل مكة و أهل العصر :

قال الرسول ﷺ : « إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » ، أنذرهم بالخطر الحقيقى الدائم الذى يهددهم ، والذى هو طبيعة هذه الحياة التى يحيونها والعقائد التى يدينون بها ، والأصنام التى يعكفون عليها ، و العادات الظالمة و الأخلاق الجاهلية التى يتمسكون بها ، و بالاختصار هذه الجاهلية الجهلاء التى يعيشون عليها ، لا إيمان و لا علم ولا عدل ولا تقوى ، إن طبيعة هذه الحياة هو الفساد

www.abulhasanalinadwi.org

الشامل فى المجتمع ، و المعيشة الضنك . والقلق النفسى و العذاب الداخلى فى هذه الحياة « ظهر الفساد فى البر و البحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون (١) » ، وكما يقول : « و لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون (٢) » .

تفرد الأنبياء بمعرفة خواص العقائد
و الأعمال و الأخلاق والعادات :

إن الرسول - عليه الصلاة و السلام - ما تعرض لبيان ضرر هذه الحياة و المجتمع المادى و الاقتصادى ، أو الادارى و السياسى ، لأن هذا لم يكن من موضوع الرسول و لا من موضوعات الرسالات السماوية ، الهدف الذى يرمى إليه الرسول عليه الصلاة والسلام ، هو العذاب الدائم بعد هذه الحياة التى يهون و يصغر أمامه كل ألم . « و لعذاب الآخرة أشق (٣) » ، « و لعذاب الآخرة أشد و أبقى (٤) ، و لعذاب الآخرة أخزى (٥) .

(١) الروم ٤١ . (٢) السجدة ٢١ ، (٣) الرعد ٣٤ ،
(٤) طه ١٢٧ . (٥) حم السجدة ١٦ ،

www.abulhasanalinadwi.org

سبيل الأنبياء و المرسلين وسبيل

الفـــاحصين و المكتشفين :

لقد اطلع العلماء و الفاحصون على خواص الأدوية وعرفوا كثيراً من طباع الأشياء والقوى المودعة فى الموجودات ، وكونوا العلوم و المعلومات التى انتفع بها الناس وشكروا أصحابها واعترفوا بفضلهم ، و تفرد الأنبياء بمعرفة ذات الله و صفاته و أحكامـه و مرضاته ، و بخواص العقائد و الأعمال و الأخلاق ، صحيحها وسقيمها ، صالحها و فاسدها ، و ما تجر و تستتبع من سعـادة وشقاء فى الدنيا ، وثواب وعقاب وجنة ونار فى الآخرة ، وخصهم الله ـ بقدر ما يريد ـ بعلم ما يكون بعد هذه الحياة ، و فى ذلك العالم من حشر و نشر وإنعام و عذاب ، ونعيم وجحيم : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول (١) .

جواب الأنبياء الأخير :

لقد وقفوا ـ عليهم السلام ـ على جبل النبوة يشرفون منها بقدر ما يريد الله على عالم الغيب و الشهادة ويخبرون بما يهجم على هذه البشرية و على هذه المدنية فى المستقبل القريب و البعيد ، وما يكمن

(١) الجن ٢٦ ، ٢٧

www.abulhasanalinadwi.org

لها من خطر وضرر ، ثم ينذرون قومهم شفقة و إشفاقا وحبا و إخلاصاً ، و إذا نازع منازع هذا الحق الطبيعى العقلى ، و هذه البداهة ، و شك أو شكك فى مراكزهم ، المركز الذى خصهم الله به ، قالوا فى نصيحة و إخلاص وتألم وإشفاق : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد (١) » ، وكما قال مؤمن من آل فرعون الذى كان يكتم إيمانه : « فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمرى إلى الله ، إن الله بصير بالعباد (٢) » ،

مثال بليغ للحكمة النبوية والبلاغة العقليـــة :

و أذكر لكم نموذجاً رائعاً آخر ، يختلف كل الاختلاف فى الطبيعة والبيئة والدوافع التى دفعت إليه ، ولكنها قطعة رائعة ومثال بليغ للحكمة النبوية ، والبلاغة العقلية ـ ليست البيانية ـ فحسب ـ

(١) سبا ، ٤٦

(٢) المؤمن ٤٤ ، أستفيد فى هذه المحاضرة من كتاب المؤلف « النبوة و الأنبياء فى ضوء القرآن » من ص ١٨ إلى ص ٢٦ الطبعة الرابعة دار القلم (دمشق و بيروت) .

www.abulhasanalinadwi.org

و القيادة الحكيمة المؤثرة فى أغوار النفوس و أعماق القلوب ، وهى جديرة بأن تكون موضع دراسة مؤرخى النبوّات ، والقيادات الروحية ، و علماء البلاغة و أساتذة علم النفس .

إن رسول الله - ﷺ - لما وزع سبايا و مغانم حنين فى الجعرانة على أشراف قريش ، كما تعرفون و قرأتم فى السيرة ، أنه أعطى قريشاً فأجزل لهم العطاء ، أعطى أبا سفيان و عكرمة بن أبى جهل ، و فلانا و فلانا ، وكان نصيب الأنصار فيها قليلا ، اعتماداً على إيمانهم و على حبهم و صلتهم الدقيقة العميقة الدائمة بالاسلام و نبيه - ﷺ

هناك تقاول بعض الشباب ، فقالوا : إن رسول - ﷺ - خص بنى قبيلته بأكبر نصيب من العطاء و المغانم ، و بلغ هذا رسول الله - ﷺ - فحسب له حساباً ، لأنه النبى المربى وليس النبى فقط ، فأمر بجمع الأنصار فى حظيرة فاجتمعوا وقال : لا يدخل الحظيرة إلا الأنصار ، و لما اجتمعوا كلهم قال لهم :

لله و لرسوله المن و الفضل :

« ما هذه القالة التى بلغتنى عنكم ، و جدة وجدتموها على فى أنفسكم » ؟ .

www.abulhasanalinadwi.org

فاستحيوا و قالوا : لا شئ يا رسول الله ، إنما هم بعض الشباب قد وسوس لهم الشيطان ، ثم قال : « أما أتيتكم ضلالا فهداكم الله بى ، و عالة فأغناكم الله بى ، و أعداءاً فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : لله و لرسوله المن و الفضل » .

إثارة الايمان و اليقين و الحب الدفين :

و لم يبتدر رسول الله ﷺ بالكلام ، بل أراد أن يتكلم بلسانهم فأثار فيهم الشعور الانسانى و ألهمهم المعانى ، فقال : « ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ، لله ولرسوله المن و الفضل ، قال : « والله لو قلتم لصدقتم ولصدقتكم ، أتينا مكذباً فصدقناك ، و مخذولا فنصرناك ، وطريداً فآويناك . و عائلا فواسيناك ؟ أى زعيم ، و أى قائد ، و أى مرب ، و أى صاحب فضل يستطيع أن يشهد على نفسه بهذا ، و الله لولا أن هذه الكلمات قد وردت فى السيرة النبوية و فى حديث صحيح ، أصله فى الجامع الصحيح للبخارى ، و قد ذكره الحافظ ابن القيم فى « زاد المعاد » بسياق أوسع و أشمل ، لو لا أنها قد وردت فى الصحاح و فى كتب السيرة ، لما كان لأى مسلم أن ينطق لسانه بهذه الكلمات : أما أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولا

www.abulhasanalinadwi.org

فنصرناك و طريداً فآويناك ! »

أوجدتم على فى لعاعة من الدنيا ؟

ثم قال بعد أن أثار نفوسهم وأجرى عيونهم وفتح الأغلاق من قلوبهم : يا معشر الأنصار ! أوجدتم على فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، و وكلتكم إلى إسلامكم ! » أنظروا كيف أوجد فى نفوسهم الثقة التى كانت كفيلة بحسم كل ما ساور نفوسهم - إن كان هناك شئ قد ساور نفوسهم - و قال أوجدتم على فى لعاعة من الدنيا (واللعاعة خضرة ناعمة) تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، ثم قال الكلمة المثيرة البليغة التى ما يمكن أن تطلق أو تنطلق من فم إلا و تفجر الأنهار و تشق الصخور ، و تأتى بالمعجزات .

الأنصار شعار والناس دثار :

« أما ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاه والبعير إلى رحالكم وترجعون برسول الله - ﷺ - إلى رحالكم ، و الله لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، و لو سلك الناس الناس شعبا و وادياً ، و سلكت الأنصار شعباً ووادياً لسلكت شعب الأنصار و واديها ، الأنصار شعار ، و الناس دثار ، اللهم

www.abulhasanalinadwi.org

أرحم الانصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار » .

ثم ماذا كان ؟ كان الشئ المتوقع الطبيعي ، هملت عيونهم حتى اخضلت لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله ﷺ قسمة وحظاً »

أروع نموذج في الآداب البشرية
و الآداب الانسانيـــــــة :

و الله لو بحثنا - و لى مشاركة فى بعض اللغات غير العربية فضلا عن اللغة الأردية - لو بحثنا فى أدب الأمم والديانات ، ماوجدنا موعظة أبلغ من هذه الموعظة ، و علمـــاً بالنفس الانسانى أكثر عمقاً و أكثر صدقاً من العلم النبوى .

هذان النموذجان من أروع النماذج التى دونت و سجلت فى الآداب البشرية و فى المكتبات الانسانية (١) .

---

(١) التعليق على هذه الخطبة النبوية البليغة ، مقتبس من محاضرة الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة ، التى نشرت بعد بعنوان « حكمة الدعوة و صفة الدعاة » ص ١٩ إلى ٢٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

المحاضرة الثامنة

تمثيل جعفر بن ابى طالب للاسلام والمسلمين في مجلس النجاشي ملك الحبشة

نموذج دعوة و حكمة لأحد
السابقين من هذه الأمـــة ·

لقد ضممنا إلى دعوات ثلاثة أنبياء من كبار الرسل - لبراهيم عليه السلام و يوسف عليه السلام وموسى عليه السلام - و حوارهم مع أمتهم - أمة الدعوة و أمـة الاجابة - حواراً لفرد ، لم يكن له حظ من النبوة و الرسالة ، و لا شرف البعثة إلى أمـة من الأمم ، أو مجتمع من المجتمعات البشرية ، إن جل أمره أنه كان من المؤمنين بنبي عصره قد شرح الله صدره للايمان و الحكمة ، و فتق قريحته للكلام الرقيق الدقيق ، و الموعظة الحسنة البليغة ، و كأنه مخطط قد خطط على هدوء و روية ، فتجرد من « الارتجالية »

www.abulhasanalinadwi.org

والحشو والفضول ، يتراجع عنه صاحبه ، أو يندم عليه أو يعتذر . و ذلك شأن من هيأه الله للدعوة ، و أخلص لدينه ، و لم يرد إلا وجه الله ، أو إبراء ذمته .

و حين انتهينا فى المحاضرة الماضية من عرض نموذجين لدعوة سيد الأنبياء و الرسل و خاتمهم محمد صلى الله عليه و آله وأصحابه وسلم - و السيرة النبوية لا تنقطع عجائبها ، و لا تنفد دررها و جواهرها - تنتقل إلى عرض نموذج من نماذج بعض المؤمنين الذين نشأوا فى أحضان النبوة ، و كانوا غرس التربية النبوية ، و زرع الدعوة الاسلامية الأولى . و هم كثير ، نختار من بينهم جعفر بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، و هو الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم : « أشبهت خلقى و خلقى (١) » .

الموقف الدقيق الرهيب
الذى دعا إلى هذا الكلام:

و قبل أن أعرض نموذج هذه الدعوة ، و ندرسه دراسة

(١) قاله رسول الله ﷺ فى عمرة القضاء ، راجع الجامع الصحيح للبخارى كتاب المغازى ، باب عمرة القضاء ، والقصة بطولها فى السيرة النبوية للمؤلف ص / ٣٦٤ !

www.abulhasanalinadwi.org

بلاغية و نفسية و دعوية ، يحسن بنا أن نستعرض و نتمثل المحيط الدقيق الذى اكتنف هـذه الدعوة ، و الموقف الرهيب المحرج الشائك الذى وقفـــه جعفر للكلام و الخلفيات التى تختص بهذا الموقف .

كان من خبر هذا المجلس الذى دعا إلى هذ الكلام ، والموقف الذى وقفه جعفر بن أبي طالب ، شارحاً للاسلام ، و عارضاً لدعوته ، ما رواه أصحاب السيرة : أنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، و أنه لا يقدر على أن يمنعهم قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فان لهـا ملكا لا يظلم عنـده أحد ، و هى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك جماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فكانت أول هجرة فى الاسلام ، و كانوا عشرة رجال ، أمروا عليهم عثمان بن مظعون ، ثم خرج جعفر بن أبى طالب ، وتتـابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، وكانوا ثلاثة و ثمانين رجلا .

و لما رأت قريش أن هؤلاء قـد أمنوا و اطمأنوا بأرض الحبشة ، بعثوا عبـــد الله بن أبى ربيعـــة و عمرو بن العاص بن

www.abulhasanalinadwi.org

الوائل (١) ، و جمعوا لهما هدايا للنجاشى و لبطارقته مما يستطرف من متاع مكة ، و قدما على النجاشى ، و قد استهالا البطارقة . و أرضياهم بهداياهم ، و تكلم فى مجلس الملك ، فقالا : إنه لجأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، و لم يدخلوا فى دينكم ، و جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن و لا أنتم ، و قد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم و أعمامهم و عشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أبصربهم ، و أقرب إليهم ، و قالت البطارقة حوله : صدقا أيها الملك ، فأسلمهم إليهما .

الوصف الماكر المنفر

للاجئين المسلمين :

تأملوا فى هذه الكلمة التى قد صب فيها صاحباها ذكاءهما و حنكتهما ، و تجلت فيها براعتهما السياسية الماكرة ، لقد وجها إلى فريستهما وهدفهما - و هى هذه القلة المؤمنة اللاجئة إلى هذا البلد النائى الغريب - سهاماً مسمومة تصيب المقتل ، و قد هونا من شأنهم أولا ، و صوراهم تصويراً يدعو إلى الاستخفاف

(١) و كانا من دهاة العرب .

www.abulhasanalinadwi.org

والسخرية ، فقالا : إنه لجأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، والكلمة لها معنى خاص فى بلاط الملك الكبير ، الذى لا يضم إلا النوابغ من الأمراء و الوزراء ، و المحنكين من البطارقة و العلماء ، وقد استفزا فى الملك و حاشيته شعور المقت و الكراهة ، و النخوة و الكبرياء حين قالا : « فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم و جاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن و لا أنتم » .

و قد تظاهرا فى هذه الكلمة بالنزاهة و العدل و الحياد و التحاكم إلى العقل السليم ، و العرف الشائع ، فما قيمة دين لا يمت بصلة بدين من الأديان المنتشرة ، المعترف بها عند الناس و عند الحكومات ، و إنما هو دين محدث ، ينحصر فى نطاق ضيق من الشباب الأغمار ، ثم أضافا إلى ذلك قولهما الذى يقبله كل عاقل فى عامة الأحوال :

« قد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أبصر بهم و أقرب إليهم » .

الوضع الدقيق المحرج :

إن هذا الكلام قد صدر عن ذكاء و دهاء ، و قدرة على استمالة الملك ، و حاشيته ، و كسب تاييده ، و عطفه ، و قد

www.abulhasanalinadwi.org

زاده قوة و تأثيراً موقف البطارقة ، و بطانة الملك ، فقد قالوا « صدقا أيها الملك ! فأسلمهم إليهما » . إنه موقف دقيق رهيب ، لو وقفه أى إنسان لحار و اضطرب ، و انسدت عليه الطرق ، و دارت به الأرض الفضاء ، فاما ارتج عليه الكلام ، و إما تورط فى ما لا تحمد عاقبته ، ولا تؤمن غائلته . و كان الواجب على كل من يقف هذا الموقف أن يتحرز مما يثير تساؤلا أوينقل هذا المجلس الوقور إلى مجلس بحث و مناظرة ، و أخذ و رد ، و نقض و إبرام ، و كان الواجب عليه كذلك أن يتوقى من كل ما يجرح شعور الملك المسيحى ، الحامى لدينه ، فيعتبره هجوماً على عقيدته ، و ما يدين به ، فينبض عرقه المسيحى ، و تتحرك فيه عاطفة الدفاع عن ديانته و أمته ، و كذلك كان يجب عليه أن يبتعد عن البحث العلمى الفلسفى ، و التعمق فى عرض العقيدة و شرحها ، فقد كان المجلس يضم كبار علماء الدين النصرانى الذين لا يرون فوقهم أحداً فى التقعر ، و شق الشعرة فى القضايا الدينية و الكلامية .

نهج الحكيم الذى آثره جعفر بن أبى طالب :

فماذا كان من جعفر بن أبى طالب إزاء هذه الشبكة الدقيقة

www.abulhasanalinadwi.org

التى بسطها له رسولا قريش ، و أى منهج فضله للكلام فى هذا الموقف الدقيق الرهيب ؟ .

يبدو للقارىء الذى يقرأ ما أجاب به جعفر فى مجلس النجاشى لأول وهلة أنه حديث بسيط مرتجل ، تحدث به جعفر ، و لا يتوقع من عربى نشأ فى محيط ضيق منعزل عن العالم ، بعيد عن الثقافة و الأساليب السياسية ، أكثر من ذلك .

و لكنه كلام حكيم قد جاء فى أوانه و مكانه ، و قد دل على بلاغة صاحبه العقلية ، قبل أن يدل على بلاغته العربية البيانية ، و لا يعلل ذلك إلا بالهام من الله ، و تأييد هذا الدين الذى أراد الله أن يتم نوره ، و أن يظهر على كل دين ، و يدل على سلامة الفطرة ، ورجاحة العقل اللتين فاق فيهما بنو هاشم قريشاً و فاق فيهما قريش العرب كلهم ، فقد فضل جعفر أن يكون جوابه حكاية حال لما كان عليه أهل الجاهلية فى الجزيرة العربية ، و لما آل إليه أمرهم بعد ما أرسل الله رسوله فيهم ، و دعا إلى الله و إلى الدين الحنيف السمح ، و مكارم الأخلاق ، و آمنوا به واتبعوه ، وحكاية حال - خصوصاً إذا لم يجانب فيه صاحبها الصواب - أبعد شئ عن المناقشة و المناظرة ، و أقدر شئ على

www.abulhasanalinadwi.org

غرس المعانى المقصودة ، و تحقيق الأهداف المنشودة و التهيئوا للتأمل و الانصاف ، و حسن الاستماع .

كلمة جعفر بن أبي طالب

فى مجلس النجـــاشى :

و الآن اسمعوا ، جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه يتكلم فى مجلس الملك ، و يقول :

أيهـا الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، و نأكل الميتة ، و نأتى الفواحش ، و نقطع الأرحام ، و نسئ الجوار ، و يأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، و نخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم ، و حسن الجوار ، و الكف عن المحارم و الدماء ، و نهانا عن الفواحش ، و قول الزور ، و أكل مال اليتيم ، و قذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، و أمرنا بالصلاة و الزكاة ، والصيام ـ فعدد عليه أمور الاسلام ـ فصدقناه ، و آمنا به ، و اتبعناه على ما جاء به من

www.abulhasanalinadwi.org

الله فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا و أحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، و فتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبـادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، و أن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا ، و ظلمونا ، و ضيقوا علينا : و حالوا بيننـا خرجنـا إلى بلادك ، و اخترناك على من سواك ، و رغبنـا فى جوارك و رجونا ألا نظلم عندك أيها الملك !

أثر حديث جعفر فى المجلس الملكى :

يقول أصحاب السير ، سمع النجاشى كل ذلك فى هدوء ووقار و لعل ما أبداه جعفر من الثقة بعدله و حسن جواره كان عوناً على ذلك ، و الملوك العقـلاء يحرصون دائماً على حسن الصيت و طيب المقالة ، و تحقيق حسن الظن بهم ، ثم قال : « هل معك ما جاء به صاحبكم عن الله من شئ » ؟

قال جعفر ، نعم ! قال النجاشى فاقرأه على ، فقرأ جعفر صدراً من سورة مريم ، فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته ، وبكى أساقفه حتى اخضلوا مصاحفهم .

وقال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة

www.abulhasanalinadwi.org

واحدة ، ثم أقبل على رسولى قريش ، فقال : انطلقا فلا و الله لا أرسلهم إليكم .

محنة عقيدة و بديهة :

و لم تنته المشكلة هنا ، فقد كان على المسلمين أن يواجهوا محنة أخرى ، قد تكون أشد من الأولى ، فقد أطلق عمرو بن العاص آخر سهم من سهام جعبته ، و هو سهم مسموم ، فغدا على النجاشى من الغد ، و قال له : أيها الملك ! إنهم ليقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيماً ، فأقبل الملك على المسلمين ، فقال ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟ .

قال جعفر بن أبى طالب ، نقول فيه ما جاء به نبينا ﷺ ، هو عبد الله و رسوله ، و روحه ، و كلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فضرب النجاشى يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال : « والله ما زاد عيسى بن مريم على ما قلت مقدار هذا العود » .

لو كان رجل مكان جعفر بن أبى طالب ، فواجه مثل هذه الأزمة و المشكلة الطريفة لم يكن غريباً أن يداهن أو يحابى أو يراعى دقة الموقف ، و يجيب جواباً سياسياً ، و يخرج من هذا المضيق

www.abulhasanalinadwi.org

بكلمة لبقة لا تصرح ببشرية سيدنا عيسى بن مريم ، و قد كان بليغاً حاضر البديهة ، متصرفاً فى الكلام ، و لكنه كان ممثلا للعقيدة الاسلامية الصافية ، خير تمثيل ، قائماً فى هذا المجلس الملكى مقام الرسل و الأنبياء ، من غير رسالة و لا نبوة ، فما كان له أن يداهن ، أو يمزج الحق بالباطل ، فجاء بكلام صريح واضح ، و لكن فى بلاغة وحكمة ، و فى اتزان وتناسب دقيق ، و كلام فصل لافضول فيه و لا تقصير .

انتصار فى معركة حامية :

فكان عاقبة هذا الاخلاص و الصدق ، ونتيجة هذه البلاغة والحكمة ، أنه خرج من هذا المأزق منتصراً كريماً سليماً وكسب المعركة ، و قد جاء فى الخبر ، أن النجاشى رد المسلمين رداً كريماً و أمنهم ، و خرج رسولا قريش - عبد الله بن أبى ربيعة ، و عمرو بن العاص بن وائل - من عند الملك مقبوحين وأقام المسلمون بخير دار مع خير جار (١)

(١) راجع السيرة النبوية للمؤلف ص ١٥١ - ١٥٥ ، نقلا ، من سيرة ابن هشام ق ١ ص ٣٣٤ - ٣٣٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

و نكتفى بهذا النموذج الرائع من أدب الدعوة و حكمتها فى موقف دقيق رهيب ، و مجلس وقور مهيب ، لرجل من أصحاب النبى ﷺ و أهل بيته ، قد آتاه الله الحكمة و فصل الخطاب ، و فى ذلك قدوة للدعاة والمرشدين ، و درس للعلماء والمتأدبين .

إعداد: عبد الهادى الأعظمى الندوى

www.abulhasanalinadwi.org

الفهرس

العنوان	الصفحة
هذا الكتاب بقلم : الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى	٤
★ المحاضرة الأولى	
حكمة الدعوة و مرونتها و مجاراتها لكل بيئة و عصر	٩
تحقيق أمنية قديمة	٩
القرآن كتاب هداية ودعوة قبل أن يكون كتاب أحكام و شريعة	١٠
الدعوة لا يمكن أن تخضع لقوانين مرسومة ، وتقيد بها	١١
الدعوة لها مساحة زمانية و مساحة مكانية	١٣
الايجاز و الاعجاب فى آية الدعوة ، سعتها و عمقها	١٣
الأمثلة والنماذج عنصر هام استخدمه القرآن فيما يتعلق بالدعوة	١٦
نموذج من دعوة مؤمن ما زال يكتم إيمانه	١٧
★ المحاضرة الثانية	
نموذجان من دعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام	١٩

www.abulhasanalinadwi.org

العنوان	الصفحة
دعوة الولد للوالد	٢٠
إثارة للحنان الأبوى	٢٠
حسن اختيار سيدنا إبراهيم للدلائل	٢٢
الاعتماد على الفطرة و الواقع فى دعوته عليه السلام لقومه	٢٣
استنفاد ثروة الذكاء والبيان وطاقة الدفاع عن النفس من المخاطب	٢٥
المنهج القرآنى إثبات مفصل و نفى مجمل	٢٦
الانطلاق و التدفق فى الحديث عن الله تعالى	٢٧
مناسبات لطيفة	٢٨
★ المحاضرة الثالثة	
نموذج من دعوة سيدنا يوسف عليه السلام	٣٠
المحيط الفريد الذى قامت فيه دعوته عليه السلام	٣١
موضع احترام و تقدير و ثقة	٣٤
معنى الاحسان	٣٥
أهم من الرؤيا المفزعة و أجدر بالاهتمام	٣٦
الجمال الرائع فى فتح الحديث	٣٧
١ ـ التفسير الأول	٣٨

www.abulhasanalinadwi.org

العنوان	الصفحة
٢ ـ التفسير الثانى	٣٩
تنشط النفوس لسماع الحديث بشئ لذيذ حبيب	٤٠
الانتقال الخفيف الرقيق إلى عرض الدعوة	٤١
رحلة طويلة يطويها سيدنا يوسف فى لحظة واحدة	٤٢
إعجاز قرآنى عجيب	٤٤
طريقة الداعى الملهم	٤٤
★ المحاضرة الرابعة	
أمثلة من دعوة سيدنا موسى عليه السلام و حكمته النبوية	٤٦
لوحة جميلة أخرى من الدعوة النبوية	٤٦
مهمة سيدنا موسى تختلف عن مهمة الأنبياء الآخرين عليهم الصلاة و السلام	٤٧
ميزة بنى اسرائيل فى معاصريهم	٤٨
ألقيت على عاتقه عليه السلام مهمتان	٤٩
أراد فرعون أن لا يولد مولود عادى فى بنى إسرائيل و أراد الله أن يولد أكبر مولود	٥٠
جو خارق للمادة	٥١

www.abulhasanalinadwi.org

العنوان	الصفحة
محنة لقوة النفس و قوة الايمان	٥٢
أحب عباد الله إلى أبغض عباد الله	٥٤
السهم المسموم من كنانة فرعون	٥٥
السر الكامن و الاعجاز الكامل	٥٧
التمسك بالدعوة و عدم الحياد عنها	٥٨
مراوغة فكرية من فرعون ،	
و استقامة موسى و نجاحه فيها	٥٩
فرعون يطلق السهم الوحيد فى كنانته	٦٠
آخر سهم فى كبد فرعون	٦١
★ المحاضرة الخامسة	
موسى عليه السلام مع قومه « بنى إسرائيل »	٦٣
الحرب الداخلية قد تكون أشد خطراً من الحرب الخارجية	٦٣
أربعة مواقف واضحة حاسمة لسيدنا موسى مع قومه	٦٤
موقف نبى داع لا موقف زعيم سياسى	٦٥
أرادوا أن يصيدوا عصفورين بسهم واحد	٦٧
الروح النبوية تتجلى فى أروع مظاهرها	٦٧

www.abulhasanalinadwi.org

العنوان	الصفحة
موقف الداعى المستقيم الذى هيأه الله لأمر عظيم	٦٨
الشئ الذى يفتت الكبد و يقطع القلب	٧٠
الداعى داع فى كل شئ	٧١
أراد موسى شيأ ، و أراد الله شيئاً	٧٣
كلا إن معى ربى سيهدين	٧٤
فماذا كان ؟ اقرأوا قول الله تعالى	٧٧
★ المحاضرة السادسة	
دعوة مؤمن ما زال يكتم إيمانه ، نموذج لدعوة غير نبى	٧٨
دعوة مؤمن ما زال يكتم إيمانه	٧٨
يقول الله تبارك و تعالى حكاية عن فرعون	٧٩
حوار فى منتهى البلاغة و الحكمة و معرفة مداخل النفس	٨٠
« الاستراتيجية » الحاكية الملكية	٨١
كلمة رقيقة رفيقة تثير الشرارة الأخيرة من العدل وقوة المقارنة	٨٣
الاحتجاج بالمشهود المعهود على الهدف المطلوب المنشود	٨٤
الاحتجاج بسنة الله التى لا تتغير	٨٥
الاعتبار بالتاريخ و مصير الأمم البائدة	٨٧

www.abulhasanalinadwi.org

العنوان	الصفحة
التحذير من الآخرة	٨٧
إثارة نقطة جديدة حكيمة	٨٨
سمة فرعون الرئيسية التى حالت بينه و بين الحق	٩٠
النقطة التى يلتقى عليها سيدنا موسى فى دعوته و مؤمن من آل فرعون فى موعظته	٩١
الضرب على الوتر الحساس	٩٢
الدعوة إلى معرفة المخلص النافع من الغاش الخادع	٩٣
الخط الذى ينتهى إليه كل داع مخلص	٩٤
★ المحاضرة السابعة	
نموذجان من دعوة خاتم الرسل و حكمته	٩٦
النموذج الأول من دعوته ﷺ على جبل الصفا	٩٦
النبوة هى القنطرة الوحيدة بين عالم الحس وعالم الغيب	٩٧
متى يؤدى العقل دوره ؟	٩٧
بعد أهل العرب عن النبوات شكل مشكلة كبرى	٩٨
المشكلة أن رسول الله ﷺ أراد ان يخاطب قوماً لم يتعلموا « حروف الهجاء » من الدين	٩٩

www.abulhasanalinadwi.org

العنوان	الصفحة
الأنبياء يكونون من التافه الموجود الشئ العظيم المفقود	١٠٠
كان الرسول عربياً يعرف عادات العرب	١٠١
العدو الذى يعيش فى « الداخل » أضر و أفتك من كل عدو فى الخارج	١٠٢
أصدق صوت فى أصدق مناسبة	١٠٣
كان العرب عقلاء منصفين ، شجعانا صادقين	١٠٤
الأنبياء يقفون على قمة جبل من النبوة ، يطلون منها على دنيا الحس و دنيا الغيب	١٠٤
مكابرة الفلاسفة و الحكماء	١٠٧
القضية هو الايمان بوجود عالم لايرى	١٠٧
الخطر الحقيقى الذى تناساه أهل مكة و أهل العصر	١٠٨
تفرد الأنبياء بمعرفة خواص العقائد و الأعمال و الأخلاق و العبادات	١٠٩
سبيل الأنبياء و المرسلين و سبيل الفاحصين المكتشفين	١١٠

www.abulhasanalinadwi.org

العنوان	الصفحة
جواب الأنبياء الأخير	١١٠
مثال بليغ للحكمة النبوية و البلاغة العقلية	١١١
لله و لرسوله المن و الفضل	١١٢
إثارة الايمان و اليقين و الحب الدفين	١١٣
أوجدتم على فى لعاعة من الدنيا ؟	١١٤
الأنصار شعار و الناس دثار	١١٤
أروع نموذج فى الآداب البشرية و الآداب الانسانية	١١٥
★ المحاضرة الثامنة	
تمثيل جعفر بن أبى طالب للاسلام والمسلمين	
فى مجلس النجاشى ملك الحبشة	١١٦
نموذج دعوة و حكمة لأحد السابقين من هذه الأمة	١١٦
المرقف الدقيق الرهيب الذى دعا إلى هذا الكلام	١١٧
الوصف الماكر المنفر للاجنبى المسلمين	١١٩
الوضع الدقيق المحرج	١٢٠
المنهج الحكيم الذى آثره جعفر بن أبى طالب	١٢١

www.abulhasanalinadwi.org

العنوان	الصفحة
كلمة جعفر بن أبي طالب في مجلس النجاشي	١٢٣
أثر حديث جعفر في المجلس الملكي	١٢٤
محنة عقيدة و بديهة	١٢٥
انتصار في معركة حامية	١٢٦
الفهرس	١٢٨

إعداد: عبد الهادي الأعظمي الندوي

www.abulhasanalinadwi.org